مرآة المروءات

للأديب العلّامة

أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

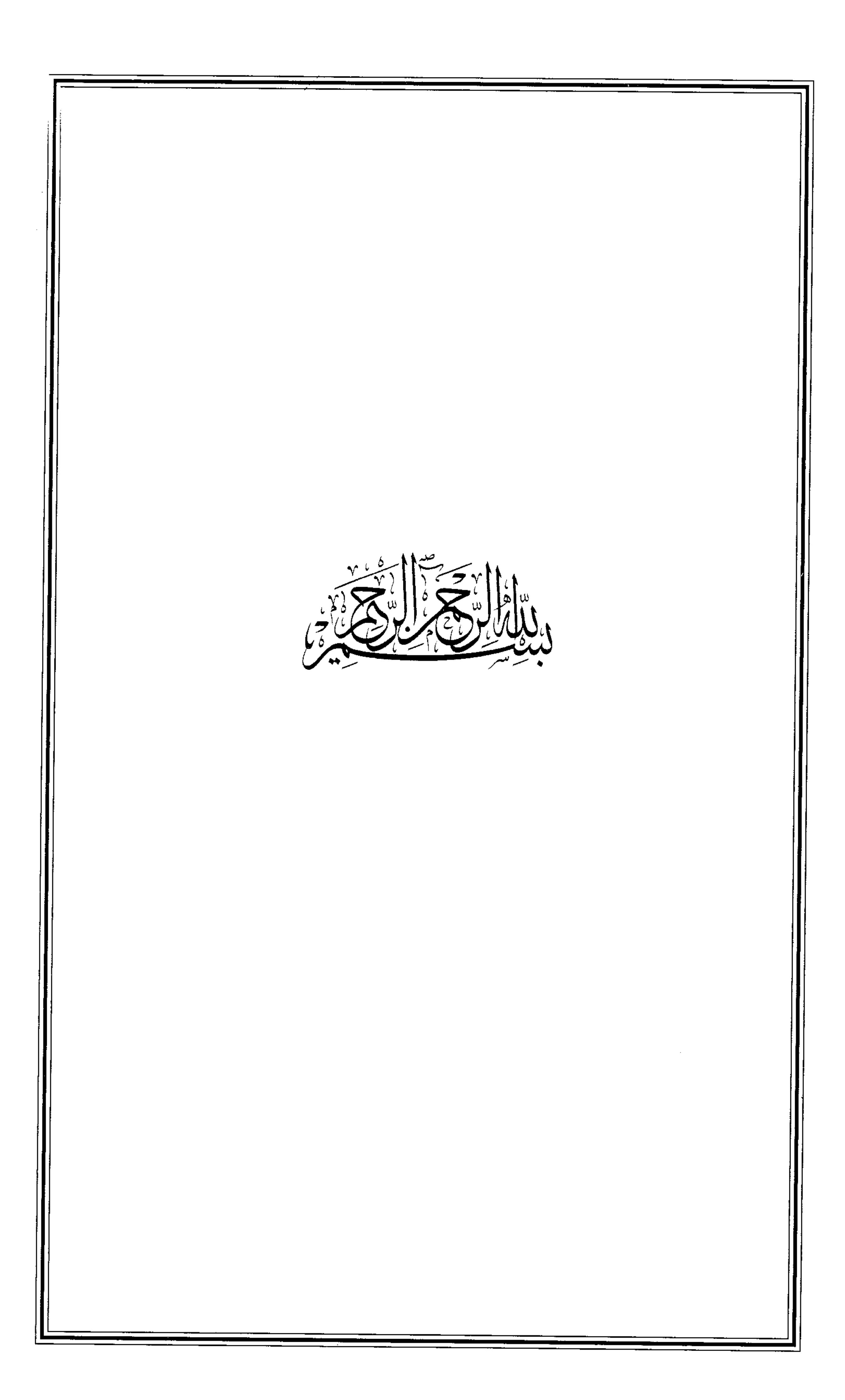
المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

مرآةُ المُروءات


بسم الله الرحمن الرحيم

مرآةُ المروءات

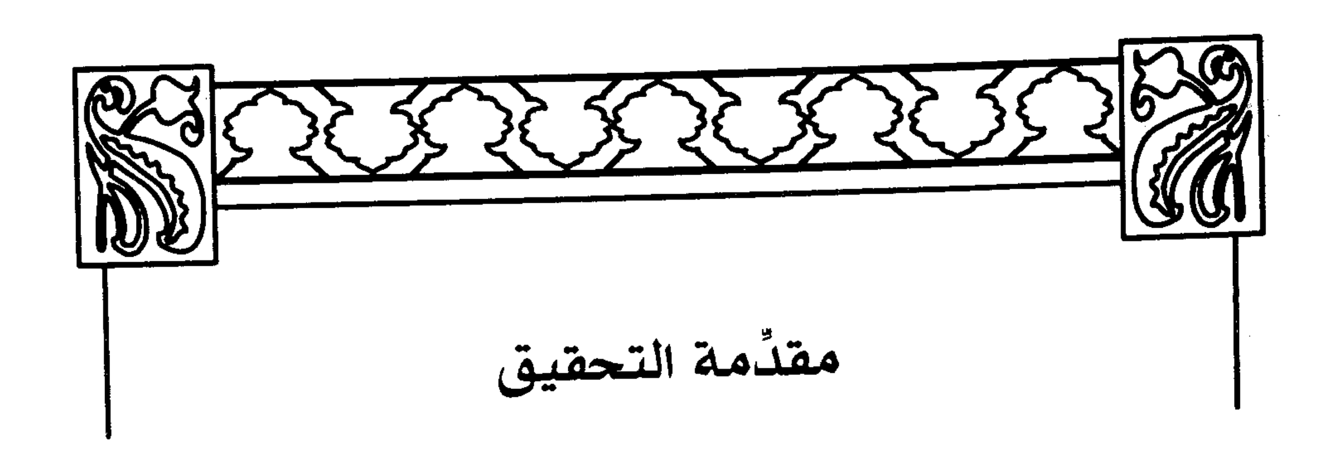
للأديب العلّامة
أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

تحقيق
محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



مقدّمة التحقيق

كان الدافعُ وراءَ تحقيقِ هذا الكتابِ هو حبُّ هذا الخُلقِ العظيم: المروءة، الذي كدنا أن نفتقدهُ في علاقاتنا الاجتماعيَّةِ والوظيفيَّة، ولا نكادُ نجدُ له ذكراً في حديث شبابنا ولقاءاتهم، وهم أملُ الأمَّةِ وجُندُ المستقبل. وكادتِ المروءةُ أن تقبعَ في خيمةِ شيخِ عشيرةٍ، أو قصرِ ذي حَسَبٍ أصيل، أو دويرةِ وجيهٍ، أو صاحبِ دينٍ قويم!

وإذا علمنا أن وسائلَ الإعلام - والفضائيات منها خاصَّة - تركِّز على السياسةِ والثقافةِ والترفيهِ المسموم، دون التربيةِ والأخلاق، ففيها من الفسادِ الخُلقيِّ والاجتماعيِّ ما عمَّ وطمَّ، وإذا كان فيها نصيبٌ من الأخلاقِ فإنه يكونُ على أساسٍ قوميٍّ وحزبيٍّ وعنصريٍّ وعلماني، لا على أساسٍ إسلاميٍّ أو أخلاقيٍّ هادف؛ علمنا من بعد أنَّ المروءةَ تلفظُ أنفاسها الأخيرةِ إذا لم تُتداركْ من أصحابِ شأنٍ هم أهلٌ للمسؤوليةِ والعمرانِ والخلافة.

وعلمنا أن التربيةَ من الحكوماتِ الحديثةِ لا تصنعُ الرجالَ الأسوياءَ الأوفياءَ للحق، بل تقتلُ في الشبابِ روحَ الإيمانِ والغَيْرةِ والشهامة، وتضعُ بذلك سيفاً شاهراً بين جيلِ الأمَّةِ وسلفها الأقوياءِ الفاتحينَ العظماء، الذين كانوا أهلَ إيمان، وطلاَّبَ حقّ، ورُعاةَ خُلق، وتنافسٍ على معالي الأمور.

فوا حسرةَ على أمَّةٍ أعزَّها الله بالدينِ الحقِّ والشهادةِ على الأمم، لكن حكَّامها رفضوه، ورضوا بالذلِّ والهوانِ بين الأمم، لا لشيءٍ إلا ليبقى الكبراءُ في مناصبهم، ولو أدَّى ذلك إلى ضياعِ الأمَّة، أو حتى موتها!!

ونظراً لعظمةِ خُلقِ المروءةِ وجلالةِ معناه، فقد احتارَ أهلُ العلم والحكمةِ في تعريفه! وكلما اقتربوا من وضعِ حدٍّ له عرفوا أنهم لم يعطوهُ حقَّه، حتى قالوا: إنه كلُّ خصلةٍ مفيدةٍ وخُلقٍ قويم!

وكان هذا شأنَ المؤلفِ نفسهِ في هذا الكتاب! فقد ذكرَ في مقدمتهِ أن المروءةَ تُطلقُ على «معانٍ كثيرةٍ ومحاسنَ جمَّةٍ من مكارم الأخلاق وممادح الأوصاف». ثم إنّه وزَّعَ أنواع المروءةِ على خمسةَ عشر باباً وفصولٍ مفصَّلة!

وحتى فقيهُ الأمَّةِ عبدالله بن عمر، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، تردّد في تعريفه! وعندما قال له أصحابه: صفْ لنا المروءة، قال: ما لذلك عندي حدٌّ أعرِّفه!

فألحَّ عليه رجلٌ منهم، فقال: ما أدري ما أقول، إلا أني ما استحييتُ من شيءٍ علانيةً إلا استحييتُ منه سرّاً!

وفي مصدرٍ آخر عرَّفهُ بقوله: حفظُ الرجلِ نفسه، وإحرازهُ دينه، وحسنُ قيامهِ بصنعته، وحسنُ المنازعة، وإفشاءُ السلام.

وبعد أن أوردَ ابنُ حبّانَ البُستيُّ نحو (٢٥) تعريفاً له قال:

«والمروءةُ عندي خصلتان: اجتنابُ ما يكرهُ اللَّهُ والمسلمونَ من الفَعال، واستعمالُ ما يحبُّ الله والمسلمونَ من الخصال».

قال: «وهاتانِ الخصلتانِ تأتيانِ على ما ذكرنا قبلُ من اختلافهم»[(١)].

هذا وقد ظنَّ المؤلفُ أنه أوَّلُ من صنَّفَ كتاباً في هذا الموضوع، بل صرَّحَ بذلك في مقدِّمته، وقد رددتُ عليه في الهامش، وأنه سبقَهُ في هذا صالح بن جناح اللخمي الشاعر الحكيم، ومحمد بن خلف المرزبان الذي وفقني الله لتحقيقِ كتابه.

وإذا كان كتابهُ هذا يشهدُ بأنه حقًّا لم ينقلْ منهما شيئاً، ممّا يثبتُ صدقَهُ في ظنِّه، فإن العجبَ قائمٌ لعدمِ اطِّلاعهِ على هذين العملين

---

(١) ينظر: المروءة لابن المرزبان، ص ٨٢، ١٠٦، وروضة العقلاء لابن حبان ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣.

المتميِّزين، وهو من هو من حيث اطِّلاعه وشغفه بتتبُّعِ أخبارِ الأدبِ والحكمةِ ونوادر الآثار.

وهو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، شيخُ الأدب، رأسُ المؤلفينَ في زمانه، له أشعارٌ كثيرة، واسعُ الاطِّلاع، جمع أشعارَ الناسِ ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم، صاحب الملوك والأمراء والوجهاءَ وصارَ نديمهم، وكان يلقَّبُ بجاحظِ زمانه!

قال الحافظُ ابن كثير رحمه الله: «كان إماماً في اللغةِ والأخبارِ وأيّام الناس، بارعاً مفيداً، له التصانيفُ الكبارُ في النظمِ والنثرِ والبلاغةِ والفصاحة... وإنما سمِّيَ الثعالبيَّ لأنه كان فرّاءً يخيطُ جلودَ الثعالب، وله أشعارٌ كثيرةٌ مليحة».

مات سنة **٤٣٠** هـ وله ثمانون سنة.

وله مؤلفاتٌ عديدة، تزيدُ على المائة، بينها ما هو منسوبٌ إليه.

ومن أشهرِ مؤلفاته: يتيمةُ الدهرِ في محاسن أهلِ العصر، فقهُ اللغةِ وسرُّ العربية، سحرُ البلاغة...[١].

وقد ذكرَ لنفسهِ في الفقرة **١٠٤** من هذا الكتاب «كتاباً في الإهداءِ والاستهداء» لم يذكرها له أحدٌ من الباحثين والمؤرخينَ ممن تصدَّوا لترجمته، حسبَ اطِّلاعي.

وكتابهُ هذا وردَ بهذا العنوانِ كما ذكرهُ بنفسهِ في مقدِّمته، وطُبعَ كما هو في عام **١٣١٦** هـ (**١٨٩٨**م) في مطبعةِ الترقِّي بالقاهرة، في (**٣٢**) صحفة.

ووردَ عنوانهُ في مصادرَ أخرى: «مرآةُ المروءاتِ وأعمالُ الحسنات»، و«مرآة المروءة»، ووقعَ محرَّفاً بعنوان: «مرآة المراة»!

---

(١) من مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء **٤٣٧/١٧**، وفيات الأعيان **١٧٨/٣**، تاريخ الإسلام **٤٧٧/٩**، البداية والنهاية **٦٧١/١٥**، **٦٧٢**، الثعالبي ناقداً وأديباً ص **١٠٧**، الأنيس في غرر التجنيس للثعالبي (مقدمة المحقق هلال ناجي).

ورجَّح باحثٌ أن يكونَ تأليفه بعد سنة **٤٢٢ هـ**، والدليلُ أنه ذكرَ السلطان محمود بن سُبكتكين الغزنوي ووصفَهُ بالسلطان الماضي، وكانتْ وفاةُ هذا السلطان عام **٤٢١ هـ**، وهذا يعني أنه ألفه قبيل وفاته.

واعتمدتُ على تلك النسخةِ المطبوعةِ النادرة، وقد مرَّ عليها قرنٌ وعقدٌ من الزمن، ولا بأسَ بها بشكلٍ عام، لكن فيها تصحيفاتٌ وتحريفاتٌ صحَّحتُ بعضها وتركتُ بعضَها الآخرَ لعدم معرفتي بها. وحتى العنوان الذي يتضمَّنُ كلمتينِ فقط وردَ خطأً من الناحيةِ الإملائية، كما يظهرُ في صورةِ غلافه.

وقد ذكرَ باحثٌ أن في مكتبةِ الأوقافِ العامَّةِ بالموصل مخطوطة منه ضمن مجموعةٍ برقم ٨/١٠ حسن باشا، أكبر من المطبوع؟

هذا وقد اهتممتُ بالكتابِ تحقيقاً وتوثيقاً وتدقيقاً، ورقمتُ فقراتِهِ كلها، وعملتُ له فهارسَ مفصَّلة مفيدة.

نسألهُ تعالى أن يُنعِمَ علينا بالمكرمات، ويجعلنا من أهلِ الفضائلِ والمروءات، والحمدُ له وحده.

محمد خير يوسف

١٤٢٥/٣/٢١ هـ

مرآت المروآت

تأليف

{ رب الفصاحة والقلم الامام الهمام ابو منصور }

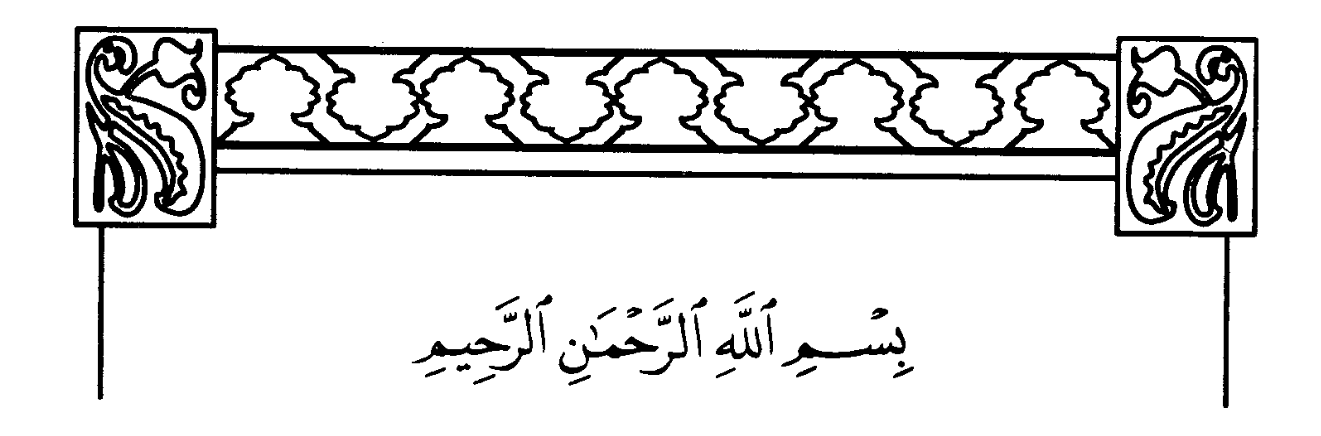
عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي

المتوفى سنة ٤٣٠ عليه الرحمة والرضوان

(طبع على نفقة حضرة احمد افندى محمد كاتب كتبخانة الازهر الشريف

بمطبعة الترقى بمصر

١٨٩٨



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدِّمة]

بعدَ حمدِ اللَّهِ ـ جلَّ ذكرهُ ـ على آلائه، والصلاةِ والسلامِ على سيِّدنا محمدٍ خيرِ أنبيائه.

ثم أحمدُ الله على بقاءِ الصدرِ الأجلِّ، السيِّدِ الصاحب، أكفىٰ الكُفاة، وليِّ النِّعم، كهفِ الملاذ، مولى الكرم، أدامَ الله سلطانه، وحرسَ عزَّهُ ومكانه[1].

فإنَّ **المروءةَ** لمّا كانت لفظاً لمعانٍ كثيرة، واسماً واقعاً على محاسنَ جمَّة، من مكارمِ الأخلاق، وممادحِ الأوصاف، ورأيتُها تجمعُ مناقبَ الملوكِ والوزراء، وتنظُمُ خصائصَ الجِلَّةِ الكُبَراء، وكانتْ له ـ دامُ علوُّهُ ـ منها غرَّةُ الأوضاحِ، وقادمةُ الجناحِ، وجملةُ الجمال، وكليَّةُ الكمال، وبيتُ القصيدة، وواسطةُ القِلادة، ولم أقرأ فيها كتاباً مؤلَّفاً برأسه[2]، موفَّى حقَّ مثله، وإنما

---

(١) لم يذكر اسمه واكتفى بوصفه، ورجَّح باحث أن يكون المقصود به أبو سهل الحمدوني، الذي ولي إمارة نيسابور سنة ٤٢٢ هـ من قبل السلطان مسعود ابن السلطان محمود سبكتكين. ينظر: الثعالبي ناقداً وأديباً ص ٣٩، ١٠٧.

(٢) سبقه في الكتابة في هذا الموضوع شاعر حكيم اسمه صالح بن جناح اللخمي، الذي أدرك التابعين، وله رسالة «الأدب والمروءة» نشره الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس، وأودعه الأستاذ محمد كرد علي «من رسائل البلغاء» ص ٣٨٥ ـ ٤٠٣، وصدر محققاً عن دار الصحابة للتراث بطنطا عام ١٤١٢ هـ. =

نظرتُ في لُمَعٍ من ذكرِ المروءةِ متفرِّقةِ الأماكن، غيرِ مجموعةِ اللطائفِ والطرائف؛ دعتني العبوديةُ القديمةُ لحضرته[1] ـ حرسها الله تعالى وآنسها ـ والسابقةُ السالفةُ في خدمته ـ أدامَ اللَّهُ شرفَها ـ إلى كتابٍ برسمه، متشرِّفٍ باسمه، معنونٍ بـ «**مرآة المروءات**»، يجمعُ من تفاسيرها، وتقاسيمها، وجُمَلها، وتفصيلها، وغُرَرِ الأخبار، ومُلَحِ الأشعارِ اللائقةِ بها، ما يَنْظِمُ عقودَ الدرّ، وينفثُ في عُقَدِ السِّحْر، ويضمُّ خِدَعَ الدهر[2]، ويستمسكُ قلوبَ الملوك، ويأخذُ بمجامعِ النفوس، ويكونُ كتاباً خفيفَ الحجم، ثقيلَ الوزن، صغيرَ الجِرْم، كبيرَ الغُنْم، غريبَ الوَضْع، جديدَ النقل.

فتعاطيتُ ذلك مستمطراً بدولته، متناولاً أقصى المرامِ بيُمنِ نقيبته.

ثم إنَّ هذا الكتابَ يشتملُ على خمسةَ عشرَ باباً.

فالبابُ الأوّل: في معاني القرآنِ العظيمِ دون ألفاظه. وفيه ألفاظٌ من القرآنِ الكريمِ ينظرُ فيها معانيَ المروءة.

والبابُ الثاني: في ألفاظِ النبيِّ ﷺ عن معاني المروءة.

والبابُ الثالث: في مروءةِ الملوكِ وأضرابهم، وغُرَرِ كلامهم فيها.

والبابُ الرابع: في مروءةِ الوزراءِ والرؤساء، وغُرَرِ كلامهم فيها.

والبابُ الخامس: في الطعامِ والإطعام. وهو بابٌ مفصَّل:

ـ **فصلٌ** في فضلِ الطعام، والمروءةُ في تنظيفه وتجويده.

ـ **وفصلٌ** في تنظيفِ الطبيخ.

= كما سبقه في هذا الأديب البليغ أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، المتوفى سنة ٣٠٩ هـ، وقد وفقني الله لتحقيقه وصدر عن دار ابن حزم ببيروت سنة ١٤٢٠ هـ بعنوان: «المروءة وما جاء في ذلك عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين».

(١) هذا تعبير لا يليق بعزّة النفس عند المؤمن، إنما العبودية لله وحده سبحانه.

(٢) يعني اختلافه وتلوّنه، بل أطلق العرب على «الدهر» لفظ الخُدعة ـ تنظر مادة خدع في القاموس المحيط ـ وهذا في الجاهلية، ولا استعمال له في الإسلام، فلا يجوز التعبير بمثل هذا، فلا يخدع الدهر ولا يتلوّن، إنما الناس. . .

- **وفصلٌ** في التنعُّمِ بالطيِّبات.

- **وفصلٌ** في مروءةَ الأكلِ مع الملوكِ والرؤساء، وحُسنِ أدبه.

وقد اختصرتهُ من كلامِ جماعةٍ من الكُبَراءِ والبلغاء، دخلَ حديثُ بعضهم ببعض، فرتَّبتهُ وهذَّبته.

- **وفصلٌ** في الإِطعامِ والضيافة.

- **وفصلٌ** في مباكرةِ الغداء.

- **وفصلٌ** في مروءةِ شهرِ رمضان.

انتهت هذه الفصول.

والبابُ السادس: في مروءةِ الثياب.

والبابُ السابع: في مروءةِ الطِّيب.

والبابُ الثامن: في مروءةِ الدُّور.

والبابُ التاسع: في مروءةِ الهديَّة.

والبابُ العاشر: في المالِ وما يُعتمدُ فيه من المروءةَ.

والبابُ الحادي عشر: في ذكرِ النساء.

والبابُ الثاني عشر: في ذكرِ النبيذِ وما يتَّصلُ به.

والبابُ الثالثُ عشر: فيما يتضمَّنُ ذكرَ المروءةِ من أحاسنِ الشِّعر.

والبابُ الرابعُ عشر: في الإفصاحِ عمّا يُكرهُ ذكرهُ ويُستَقبحُ تسميتهُ ممّا يؤدِّي معناه.

والبابُ الخامسُ عشر: في فنونٍ مفصَّلةٍ مختلفةِ الترتيب، وتفصيله:

- **فصلٌ** في المسائلِ والجوابات.

- **وفصلٌ** في مروءةِ السفرِ والحجّ.

- **وفصلٌ** في التوقيعات.

- **وفصلٌ** في المروءةِ والكرمِ المتمازجين.

- **وفصلٌ** في لُمَعٍ وغُرَرٍ من ذكرِ المروءةِ شذَّتْ عن أماكنها فجُمعتْ هنا.

- **وفصلٌ** فيما تنهى المروءةُ عنه. وبه التمام.

وإلى الله ـ عزَّ اسمه ـ الرغبةُ بالنيَّةِ الخالصة، والعقيدةِ الصافية، أن يعرفَ مولانا الشيخُ الأجلّ، السيِّدُ الصاحب، أكفى الكُفاة، وليُّ النِّعم، من بركاتِ هذا الكتاب، ما يُربي على ما فيه من الحروفِ بالألوف، وأن يستجيبَ فيه أربعةَ أدعية، ذكرَ أربعةٌ من البلغاءِ أنها أبلغُ الأدعيةِ وأحسنها وأوجزها.

فمنهم أبو عثمان الجاحظ، إذ أشارَ إلى مخدومهِ بقوله: أدامَ الله لك السرور.

ومنهم الصاحبُ بن عبّاد، إذ قال لمخدومه: عشتَ كما شئتَ كيف شئتَ.

ومنهم أبو إسحاق الصابىء إذ قال: مارستُ الكتابةَ والبلاغةَ ستينَ سنة، فلم يحضرني فيها أحسنُ وأجمعُ من قولي: جعلَ الله الأيامَ مطاياكَ إلى آمالك.

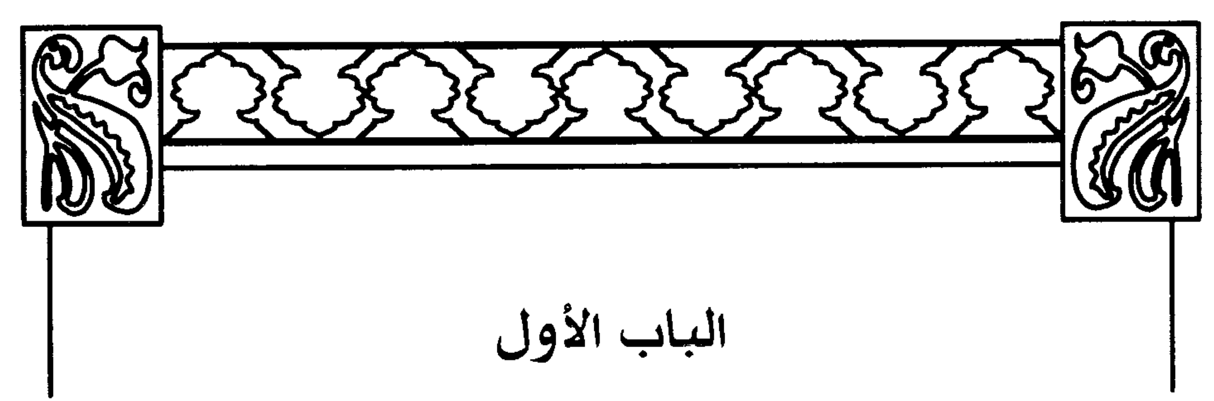
ومنهم أبو منصور بن المرزبان التبرازي(١)، حيث أشارَ إلى قولِ بعضهم أنه أحسنُ ما سمعهُ في ذلك، وهو قوله: أدامَ الله أتعابَ الفَلَكِ لراحتك.

والمدعوُّ يسمعُ ويجيب، إنه أكرمُ مسؤول، وأعظمُ مأمول.

ومن ها هنا استفتاحُ الأبواب، والله سبحانهُ وتعالى الموفِّقُ للصواب.



(١) هكذا، ولعله مصحَّف من «الشيرازي». ولم أقف على ترجمته بهذا وذاك.



الباب الأول

في اقتباس المروءةِ من معاني القرآن الكريمِ دون ألفاظه

١ ـ قيل لمحمد بن حرب الهلالي[١]: قد أكثرَ الناسُ في المروءة، فصِفْها لنا وأوجز.

قال: على الخبيرِ بها سقطت. هي بحذافيرها في قولِ الله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ﴾[٢].

قيل: قد وصفتها ففسِّرها لنا.

فقال: أما ترونَ تأويلَها تلاوتها[٣]؟

٢ ـ وقيل لسفيان بن عيينة[٤] رحمه الله: قد استنبطتَ من القرآنِ العظيمِ كلَّ شيء، فأين المروءة؟

---

(١) ورد في الكامل للمبرد ٥٥٣/٤ ـ ٥٥٤ اسم محمد بن حرب بن قبيصة بن المخارق الهلالي. ولقبيصة بن المخارق صحبة. وقد سكن البصرة. ومحمد بن حرب هذا ولي شرطة البصرة سبع مرات، وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة، وكان كثير الأدب، غزيره. ولعل المقصود غيره؟

(٢) سورة النحل: الآية ٩١.

(٣) الآية جماع المروءة كما ذكره الراغب في محاضرات الأدباء ٣٠١/١، وهو قول علي بن أبي طالب أيضاً (الدر المنثور ٢٤١/٤ ـ ٢٤٢)، وقول سفيان كما يأتي في الفقرة التالية.

(٤) الإمام الثقة الحافظ الحجة، سفيان بن عيينة الهلالي، شيخ الحجاز وأحد الأعلام، كوفي، نزل مكة المكرمة. قال ابن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة، وقال ابن حنبل: ما رأيت أحداً أعلم بالسنن من ابن عيينة! ت ١٩٨ هـ. العبر ٢٥٤/١، تقريب التهذيب ٢٤٥.

فقال: من قولهِ سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾[1].

ففيه المروءة، ومحاسنُ الآداب، ومكارمُ الأخلاق، من الرِّضىٰ بما يجيءُ عفواً بغيرِ كدٍّ لنفسٍ ومخاطرةٍ بها من طلبِ الزيادة، ومن الأمرِ بالمعروفِ الذي فيه صلاحُ الدارين، ومن الإعراض عن الجاهلين، لما فيه من التصوُّنِ عن سفاهتهم، وتركِ التعرُّضِ لجهالتهم[2].

٣ ـ وهذه الألفاظُ من القرآنِ العظيمِ تنظرُ إليها معاني المروءة.

كقولهِ تعالى في العفو: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3].

وكقوله تعالى في تعديل الشرِّ بالخير: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[4].

وكقولهِ تعالى في المداراة: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5].

وكقولهِ تعالى في مجازاةِ الحسن بالحسن: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾[6].

وكقولهِ سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[7].

وكقوله سبحانه وتعالى في النهي عن مدح النفس: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[8].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٢) عين الأدب والسياسة ص ١٣٢ بأوسع مما ورد في المتن.
(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٤) سورة التوبة: الآية ١٠٢.
(٥) سورة المؤمنون: الآية ٩٦، سورة فصلت: الآية ٣٤.
(٦) سورة الرحمن: الآية ٦٠.
(٧) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٨) سورة النجم: الآية ٣٢.

وكقولهِ سبحانه وتعالى في التوسُّطِ وحسنِ تدبيرِ التقدير: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[١].

أي: لا تُمسكْ إمساكاً شديداً ولا تبذِّرْ تبذيراً فاحشاً مخوفَ العاقبة.

٤ ـ قال مؤلفهُ رحمه الله تعالى: ذاكرتُ يوماً بغزوةٍ صاحبَ الجيشِ أبا المظفرِ نصرَ بنَ ناصرِ الدين بنِ الحبوب بن أبي حفصة[٢] للمأمونِ مديحاً فيه من قصيدةٍ له، فلمّا أنشدَ هذا البيتَ:

تشاغلَ الناسُ بالدنيا وزِبْرِجِها   وأنت بالدِّين عن دُنْيَاكَ مشتغلُ[٣]

فقال له المأمون: ويحك! ما زدتَ على أن جعلتني عجوزاً في محرابها معها سُبْحَتها، هلاّ قلتَ كما قال جريرُ في عمر بن عبدالعزيز بن مروان رحمه الله تعالى:

فلا هو في الدنيا مُضِيعٌ نصيبَهُ   ولا عَرَضُ الدنيا عن الدِّينِ شاغلُهْ

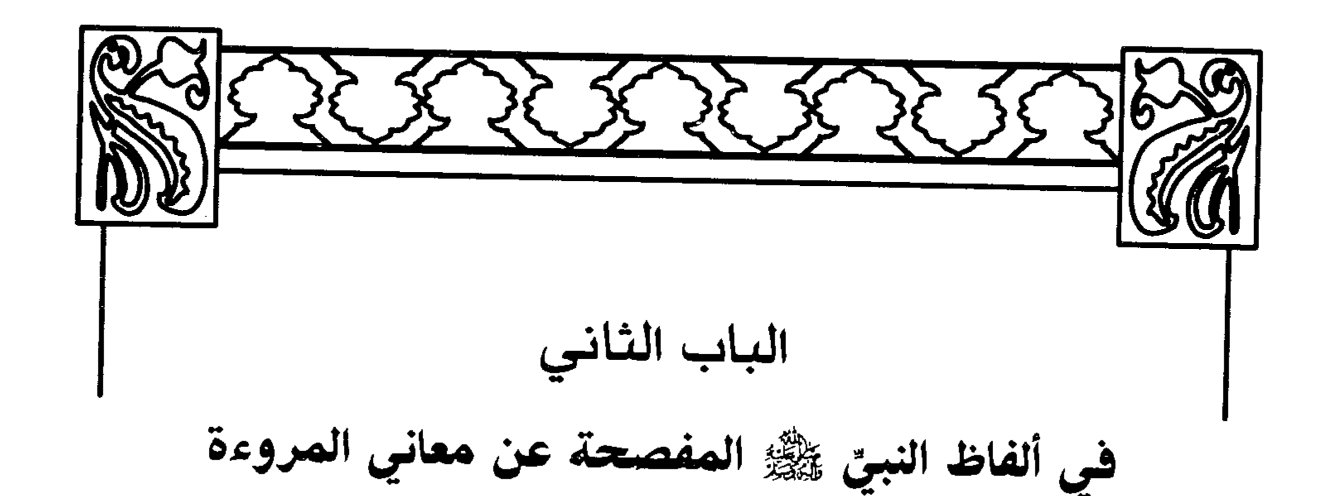
وهذا ـ واللّهِ ـ القولُ الفصل، والكلامُ الجَزْل[٤].

فقال لي الأمير نصر: هذا المعنى في القرآنِ أحسنُ لفظاً، وأحلى وصفاً. قال الله سبحانه وتعالى حكايةً عن قومِ قارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[٥].

ففيها عينُ المروءةِ وحقيقتُها، وإنْ لم يكن فيها تفصيلُها.



(١) سورة الإسراء: الآية ٢٩.
(٢) الذي صار أمير خراسان فيما بعد.
(٣) الزبرج: الحلية والزينة.
(٤) الخبر في كتاب الصناعتين ١١٩/١، ومحاضرات الأدباء ٤١٧/٢، وقائله مروان بن أبي حفصة.
(٥) سورة القصص: الآية ٧٧.



الباب الثاني

في ألفاظ النبيّ ﷺ المفصحة عن معاني المروءة

٥ ـ منها قولهُ ﷺ: «**الجودُ من أخلاقِ أهل الجنَّةَ**»[١].

٦ ـ وقولهُ ﷺ: «**تهادَوْا تحابُّوا**»[٢].

٧ ـ وقولهُ عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكى السلام: «**انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً**»[٣].

٨ ـ وقولهُ ﷺ: «**أنزلوا الناسَ منازلهم**»[٤].

---

(١) لم أره بهذا اللفظ، ولعله أورده بمعناه، كحديث: «**ألا إن كل جواد في الجنة**» الذي رواه الأصفهاني في الترغيب، وذكر الحافظ المنذري أنه حديث غريب. الترغيب والترهيب ٣/٣٨١. وحديث: «**الجنة دار الأسخياء**» الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ٥٧٣٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٨٩٢) وانظر تتمة تخريجه في «الجواهر المجموعة» رقم (١٢).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٩٧٦) من رواية أبي هريرة رفعه، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣٦٣) من رواية عائشة، وكذا الطبراني في المعجم الأوسط (٧٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير من رواية عائشة (٣٠٠٤)، وضعفه لأبي هريرة في ضعيف الجامع (٢٤٩٠). وله روايات أو طرق أخرى.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في أكثر من موضع، منها كتاب المظالم، باب أعن أخاك (٢٤٤٣) وتاليه.

(٤) روته عائشة رضي الله عنها، وهو عند أبي داود، وصححه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» وكذا غيره. وتعقب بالانقطاع وبالاختلاف على راويه في رفعه. قال=

٩ - وقولهُ ﷺ: «**لا تعفِّروا أقدامكم إلى من لا يعرفُ أقداركم**»[١].

١٠ - وقولهُ عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ السلام: «**إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه**»[٢].

١١ - وقولهُ ﷺ: «**الدالُّ على الخيرِ كفاعلة**»[٣].

١٢ - وقولهُ ﷺ: «**وعدُ المؤمنِ كأخذٍ باليد**»[٤].

١٣ - وقولهُ ﷺ: «**زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا**»[٥].

١٤ - وقولهُ ﷺ: «**الاستماعُ إلى الملهوفِ صدقةَ**»[٦].

= السخاوي في المقاصد الحسنة: وبالجملة فحديث عائشة حسن. وفي هذا الباب عن معاذ وجابر وعلي... ينظر إتحاف السادة المتقين ٢٦٥/٦. وقد ضعفه لعائشة الألباني في ضعيف الجامع (١٣٤٤). قلت: ورواية علي رواها ابن عساكر في تاريخه ١١٨/١١ وفي سنده أصبغ بن نباتة، وهو رافضي متروك.

(١) رواه القاضي أبو بكر الدينوري من قول سفيان بن عيينة رحمه الله بلفظ: «**لا تعفِّرُوا الأقدام إلا إلى أقدارها**» المجالسة وجواهر العلم رقم ١٤٣٠.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه رقم (٣٧١٢)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم (٧١)، وابن المرزبان عن الحسن مرسلاً في المروءة رقم (٩). وفي أسانيدها جميعاً مقال، لكن يبدو أن الروايات تقوي بعضها البعض، فحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٦٩).

(٣) رواه الإمام البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري البدري في الأدب المفرد رقم (٢٤٢)، ولفظه: «**الدال على خير...**»، وصححه في صحيح الأدب المفرد برقم (١٨١). وله رواية أخرى صحيحة عن سهل بن سعد رفعه... وروايات أخرى فصَّلت تخريجها في «الجواهر المجموعة» في الأرقام ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٤٥٢، ٤٥٨، وفي اصطناع المعروف لابن أبي الدنيا رقم (٧٩).

(٤) هكذا أورده المؤلف، وهو بلفظ: «**عِدَة المؤمن دَين، وعِدَةُ المؤمن كالأخذ باليد**» رواه الديلمي في الفردوس رقم (٤١١٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٦٨٩).

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٢٢/٣، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٨٣٧٣، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان رقم (١٠٤)، والطبراني في المعجم الأوسط الأرقام (١٧٧٥، ٣٠٧٦، ٥٦٣٧)، وغيرهم... وصححه الألباني لروايات عدة في صحيح الجامع الصغير قم (٣٥٦٨).
وغبَّ الرجلُ إذا جاء زائراً بعد أيام. أي أن الزيارة لا تكون متواصلة، بل فترة بعد فترة؛ لئلا يكون هناك ملل وضجر، فيؤدي ذلك إلى تقاطع أو شحناء.

(٦) لم أره بهذا اللفظ.

١٥ ـ وقولهُ ﷺ: **«كرمُ العهدِ من الإيمان»**[١].

١٦ ـ وقولهُ ﷺ: **«إن ذا الوجهينِ لا يكونُ عند الله وجيهاً»**[٢].

١٧ ـ وقولهُ ﷺ: **«المسلمُ مَنْ سلمَ الناسُ من لسانهِ ويده»**[٣].

١٨ ـ وقولهُ ﷺ: **«إيّاكم وما يُعْتَذَرُ منه»**[٤].

١٩ ـ وقولُه ﷺ: **«اليمين حِنْثٌ أو مندمة»**[٥].

---

(١) أورده بهذا اللفظ مع سبقه بـ «إن» في النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٠٩/١، وكذا هو في «لسان العرب» ٣١٢/٣، ١٨٨/١٤.
ورواه الديلمي بلفظ: **«كرم الود من الإيمان»**، الفردوس بمأثور الخطاب رقم ٨٦٢٧.

(٢) رواه ابن عدي بلفظ: **«لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون وجيهاً عند الله يوم القيامة»** في الكامل في الضعفاء ٣٢٦/٥ في ترجمة عبدالجبار بن الورد، وذكر أنه لا بأس به، يكتب حديثه.
ورواه ابن عبدالبر في التمهيد ٢٦٢/١٨، والاستذكار ٥٨٢/٨ بلفظ: **لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله**.
وهو في الصحيح بلفظ: **«تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»**. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين (٦٠٥٨).

(٣) ورد بهذا اللفظ من رواية فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه في خطبة حجة الوداع، رواه البزار والطبراني في المعجم الكبير باختصار، ورجال البزار ثقات. قاله في مجمع الزوائد ٢٦٨/٣. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١١١٢٣). كما رواه أحمد في مسنده ٢٢٤/٢، ٤٤٠/٣.
وبلفظ «المسلمون» بدل «الناس» رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٤).

(٤) رواه الطبراني، وأوله: **«إياكم والطمع فإنه هو الفقر الحاضر...»**، وفيه محمد بن أبي حميد، وهو مجمع على ضعفه. قاله في مجمع الزوائد ٢٤٨/١٠، والحديث في المعجم الأوسط رقم (٧٧٤٩).
وبصيغة المفرد «إياك» جزء من حديث رواه البيهقي في الزهد الكبير رقم (٥٢٨)، والطبراني في الأوسط (٤٤٢٤)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩١٤) وقال: الحديث حسن عندي أو صحيح...

(٥) رواه ابن ماجه بلفظ: **إنما الحلف حنث أو ندم»** (رقم ٢١٠٣)، وضعفه في ضعيف الجامع رقم (٢٠٤٦). وبلفظ **«الحلف حنث أو ندم»** رواه ابن أبي شيبة في مصنفه=

٢٠ ـ وقولهُ ﷺ: «المؤمنُ لا يكونُ طعاناً ولا لعَاناً»[١].

٢١ ـ وقولهُ ﷺ: «اصطناعُ المعروفِ يقي مصارعَ السوء»[٢].

٢٢ ـ وقال ﷺ: «رحم الله امرءاً أنفقَ الفضلَ من ماله، وأمسكَ الفضلَ من لسانه»[٣].

٢٣ ـ وقولهُ ﷺ: «صدقةُ السرِّ تُطفىءُ غضبَ الربِّ»[٤].

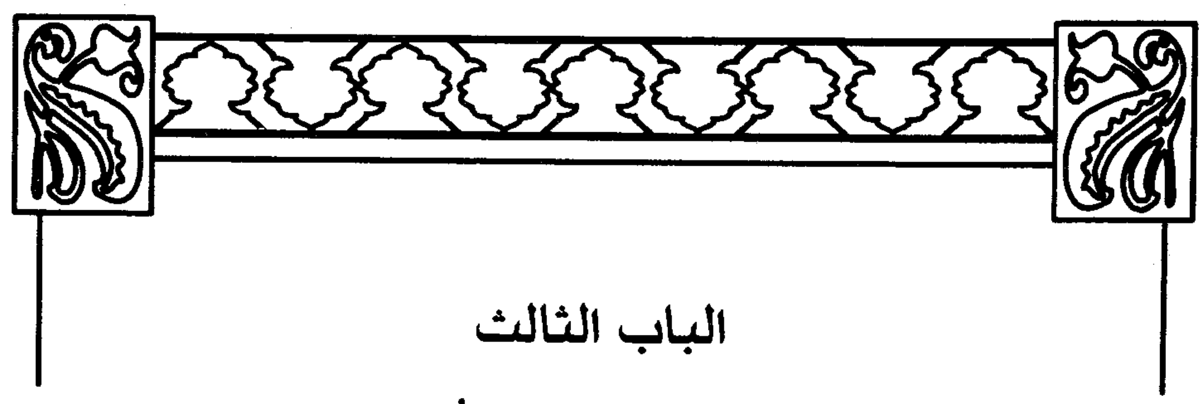
= ٢٢/٧ رقم (٢٢٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى ٥٤/١٠ (طبعة دار الكتب العلمية)، وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٢٧٨٨).
وبلفظ: «**اليمين مندمة أو مأثمة**» في لسان الميزان ٤٢١/٥ وأنه لا يصح...

(١) بلفظ «**لا يكون المؤمن لعاناً**» و«**لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً**» رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعن والطعن (٢٠١٩) وقال: حسن غريب، وصححه في صحيح سنن الترمذي (١٦٤٣). وبلفظ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذي**» رواه في باب ما جاء في اللعنة من الكتاب نفسه رقم (١٩٧٧) وقال: حديث حسن غريب، ورواه غيره، وصححه في صحيح الجامع (٥٣٨١).

(٢) أورده بهذا اللفظ أبو عبيد في «الأمثال» رقم (٤٧٥). وهو بلفظ: «**عليكم باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء**» ضعيف جداً من حديث ابن عباس برواية ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (٣)، وقضاء الحوائج (٣). وأورد الألباني تسع روايات له، وقال في الأخير: الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب، بل يلحق بالمتواتر عند بعض المحدِّثين المتأخرين. السلسلة الصحيحة (١٩٠٨)؛ ولهذا السبب صححه في صحيح الجامع (٤٠٥٢)...

(٣) رواه الديلمي بلفظ: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنَّة فلم يعدل عنها إلى البدعة**» الفردوس بمأثور الخطاب رقم (٣٩٢٩) وقال الألباني: ضعيف جداً. ضعيف الجامع (٣٦٤٤)، وكذا في التيسير بشرح الجامع الصغير ١١٩/٢ ـ ١٢٠. وينظر كشف الخفاء للعجلوني ٤٧/٢، والمغني عن حمل الأسفار ٧٧٤/٢ رقم (٢٨٤٥).

(٤) هذا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، يكون أوله: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**» رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣١٢/٨ رقم (٨٠١٤) وصححه في صحيح الجامع (٣٧٩٧) وحسَّن إسناده الحافظ المنذري في الترغيب ٣٠/٢، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٥/٣. وله روايات أخرى مذكورة في «الجواهر المجموعة» (٥٨٦، ٦٥١، ٦٥٢).



الباب الثالث

في مروءة الملوكِ وأضرابهم وغُررِ كلامهم فيها

٢٤ ـ قال بهرام بن بهرام[١]: المروءةُ اسمٌ جامعٌ للمحاسنِ كلِّها[٢].

٢٥ ـ وقال قُبَاذ[٣]: المروءةُ التامَّةُ مباينةُ العامَّة[٤].

٢٦ ـ وقال أنو شروان: المروءةُ أن لا تعملَ عملاً في السرِّ تستحي منه في العلانية[٥].

٢٧ ـ وكان المهلَّب بن أبي صفرة[٦] يقول: المروءةُ أنْ يركبَ المرءُ وحده، ويرجعَ بجيش!

٢٨ ـ وكان عبدالله بن طاهر[٧] يقول: مروءةُ الملكِ في العدلِ، والبذل، والجمعِ بين المهادنة والمحبة.

---

(١) ملك فارسي، تولى الملك بعد أبيه بهرام بن هرمز بن سابور ودام ملكه (١٨) سنة، وكان حسن السيرة عالماً بالأمور. الكامل في التاريخ ٢٢٧/١.

(٢) عين الأدب والسياسة ص ١٣٣.

(٣) في الأصل «قباد» بالدال.

(٤) محاضرات الأدباء ٣٧٥/١ (غير منسوب).

(٥) عين الأدب والسياسة ص ١٣٣.

(٦) المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أمير خراسان وصاحب الحروب والفتوحات، مولده عام الفتح، ولأبيه صحبة. كان ظالماً، جواداً، حارب الأزارقة حتى غلبهم. ت ٨٣هـ. العبر ١٠٧/١، سير أعلام النبلاء ٣٨٣/٤.

(٧) هو أمير المشرق عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، كان شجاعاً مهيباً عاملاً جواداً كريماً، تاب قبل موته وكسر آلات الملاهي واستفكَّ أسرى بألفي ألف وتصدق بأموال. ت ٢٣٠ هـ. العبر ٣١٩/١.

٢٩ ـ وكان سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان[١] يقول: المروءةُ تركُ المِراء، ومهاداةُ الأصدقاء، وإعطاءُ الشعراء.

٣٠ ـ وسمعتُ الأميرَ قابوسَ بنَ وشمكير[٢] يقول: مروءاتُ الملوكِ وملاذهم ومسارُّهم فيما لا يشاركهم فيه العامَّةُ من معالي الأمورِ، ومعاظمِ الشؤون، وتوالي الفتوح، ورتقِ الفتوق، ورفعِ الأولياء، وقمعِ الأعداء، وتفريقِ الأموال، وتبديدِ الأحوال.

فأمّا ما يشاركهم فيه العامَّةُ من المطاعم، والمآكل، والمشارب، والمصالح، والمتاجرِ، والمزارع، فإنَّ همَّتَهم ترتفعُ عنه، ولا تتواضعُ له، ولا تحومُ حوله.

والملوكُ والرعيَّةُ في طرفي نقيض.

٣١ ـ وكان السلطانُ الماضي[٣] ـ رحمه الله ـ يقول: ليس من مروءةِ الملوكِ إحضارُ حرمِ المسلمينَ مجالسَ أنسهم للاستمتاعِ بسماعهنّ، فإنهنَّ لحمٌ على وَضَمٍ[٤] بلا نبيذٍ ولا سماع، فكيف ومعها أسبابٌ أُخرُ غيرُها؟

---

(١) صاحب حلب، مقصد الوفود وفارس الإسلام. كان أديباً مليح النظم وفيه تشيع، ت ٣٥٧ هـ. سير أعلام النبلاء ١٨٧/١٦.

(٢) هو الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمكير الجيلي، أمير جرجان وبلاد الجيل وطبرستان. ورث الملك عن أبيه سنة ٣٨٨ هـ. ذكر ابن خلكان أنه على ما خص به من المناقب والرأي البصير بالعواقب مُرَّ السياسة. وذكر ابن كثير أنه نظر في النجوم فرأى أنه ولده يقتله، وكان يتوهم أنه ولده دارا؛ لما يرى من مخالفته له، ولا يخطر بباله منوجهر؛ لما يرى من طاعته له، فكان هلاكه على يديه! ت ٤٠٣ هـ. وفيات الأعيان ٧٩/٤، البداية والنهاية ٥٤٨/١٥.

(٣) يعني محموداً الغرنوي.

(٤) الوضم: كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو حصير أو نحو ذلك، يُوقىٰ به من الأرض. وفيه كناية.

وكان لا يأذنُ في حضورِ واحدةٍ منهنَّ لمجلسه ولو كانت مُنْيَةَ التمنّي من الإعجاب والإطراب.

٣٢ ـ وأخبرني النقاش أنه ـ رحمه الله تعالى ـ كان يقول:

مروءةُ الملكِ أن تكونَ المملكةُ عامرة، والطرقُ آمنة، والرعيَّةُ ساكنة، والعطايا وافرة، والأجنادُ راضية، والأدعية بالخيرِ دائمة.

٣٣ ـ ومن كتابٍ لأبي الحسن محمد بن إبراهيم[1] ألَّفه لسلطانه:

المروءةُ ترفيهُ الجسم، وتحسينُ الذِّكر، وتنعيمُ العيش، وتنظيفُ اللِّبْس، وتفخيمُ العُرْف[2].



(١) لعله محمد بن إبراهيم بن خلف اللخمي، أديب أخباري، من آثاره «مصنف في الأدب والأخبار». ت نحو ٤٣٥ هـ. معجم المؤلفين ١٩٨/٨.

(٢) العرف بمعنى المعروف، وأيضاً: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم.



الباب الرابع

في مروءةِ الوزراءِ والرؤساءِ وغُررِ كلامهم فيها

٣٤ ـ كان محمد بن خالد البرمكي[١] يقول: المروءةُ سَعةُ المنزل، وكثرةُ الخدم، ووِطاءُ الفَرْش، وطِيْبُ الرائحة، والإحسانُ بالحاشية، والإفضالُ على الإخوان[٢].

٣٥ ـ وكان الحسن بن سهل[٣] يقول: المروءةُ والشرفُ في البِشْر[٤]، ولا يَسَعُ للصدرِ إلا واسعُ الصدر.

٣٦ ـ وكان أحمد بن إسرائيل[٥] يذمُّ الوزارةَ ويذكرُ معايبها، وكثيراً ما كان يُنشدُ ويردِّد:

---

(١) هو حاجب الخليفة هارون الرشيد، ثم عزله وردَّ الحِجْبَة إلى الفضل بن الربيع سنة **١٧٩** هـ. البداية والنهاية **١٣/٥٩٧**.

(٢) ورد هذا في «عين الأدب والسياسة» ص **١٣٣** من قول يحيى بن خالد البرمكي.

(٣) الحسن بن سهل، أبو محمد، حمو المأمون، استوزره بعد أخيه الفضل وتزوج ببنته بوران، وكان يُدعى بالأمير، جواداً. مات بسرخس سنة **٢٣٦** هـ. سير أعلام النبلاء **١١/١٧١**.

(٤) في الأصل «الشرف»، وتصويبه من «عين الأدب والسياسة» ص **١٣٣**.

(٥) أحمد بن إسرائيل الأنباري الكاتب، وزير المعتز، كان يضرب بذكائه المثل، لا يسمع شيئاً إلا حفظه، دامت وزارته ثلاث سنوات. قتله صالح بن وصيف (وفي السير: قتله وصيف) بالضرب سنة **٢٥٥** هـ. الوافي بالوفيات **٦/٢٤٣**، سير أعلام النبلاء **١٢/٣٣٢**.

إن الـوزيـرَ وزيـر آلِ مـحـمـدٍ　　أودى فـمـن يـشـنـاك كـان وزيـراً[١]

فلمّا تقلّدها قيل له: ألم تكنْ تذكرُ كذا؟

قال: بلى، ولكنها مَرْكبٌ شريفٌ لذيذ، لا تطيبُ النفسُ بتركها، على ما فيها من الخطرِ العظيم. وهي والمروءةُ شقيقتان، وأنا واللّهِ أحبُّ المروءةَ ولا أريدُ بها الدنيا، فالوزارةُ أليقُ[٢] بها من الروحِ بالجسم، والعنبرِ بالمسك، واللامِ بالألف.

٣٧ ـ وكان يقول: أربعٌ من المروءة، من تعوَّدهنَّ لم يصبرْ عنهنَّ: الشمع، والنَّدُّ[٣]، والوطيء[٤]، والمركب.

٣٨ ـ وكان يقول: أربعٌ لا يُقيمها إلا عملُ السلطان: مواصلةُ الدعوات، وإقامةُ المروءات، واتِّخاذُ القِيان، وارتباطُ الغلمانِ والفرسان.

٣٩ ـ وكان عليُّ بن موسى بن الفرات وزيرَ المقتدر، وزرَ له ثلاث مرات، وكان يُضربُ المثلُ بمروءته.

فممّا يُذكرُ منها أنه كان كلما يتقلَّدُ الوزارةَ يزيدُ سعرَ القراطِيسِ والشمعِ والخيشِ والثلجِ زيادةً وافرة، وكان ذلك متعارفاً عند التجّار.

وكانت في دارهِ حجرةُ شراب[٥]، يوجِّهُ الناس من الكتّابِ والقوّادِ غلمانهم من المواضعِ البعيدةِ ليأخذوا لهم ما يريدون من السَّكَنْجَبِيْن[٦] والجُلاّب[٧] والثلجِ وغيرها.

---

(١) قيل هذا في أبي حفص الخلال وزير أبي العباس السفاح، وكان يعرف بوزير آل محمد الكامل. صبح الأعشى ٢٩٧/٦.
(٢) أليق: ألصق.
(٣) الندُّ: ضربٌ من النبات يُتبخّر بعوده.
(٤) الوطيء: اللين السهل المذلَّل.
(٥) يعني العصير، بدليل ما يأتي.
(٦) شراب مركب من حامض وحلو، معرَّب من الكلمة الفارسية «سركانكبين».
(٧) الجُلاّب: ماء الورد.

وكان رسمُ دارِه أن يصحبَ كلَّ من يخرجُ منها غروبَ الشمسِ شمعتان، ولا يسترجعا من خدمه.

وكان يقول: والله ما أرى الدنيا تفي بهمَّتي ومروءتي، وما أريدُ الوزارةَ إلا لوليٍّ أرفعه، أو عدوٍّ أقمعه، وما رأيتُ أحداً في داري، أو على بابي، أو في موكبي، وليس لي عليه إحسان، إلا استحييتُ منه، وصرفتُ همَّتي إلى إرفاقهِ والإفضالِ عليه.

٤٠ ـ وكان علي الرستمي رئيسُ أصفهان يقول:

رسومُ الكرمِ ديوانٌ لمضمارِ المروءة.

وكان إذا وصلَ أحداً بصلةٍ أمرَ بإثباتها له كلَّ سنة. وكان هذا دأبه طولَ عمره. وهو القائل:

إن المروءةَ كلها حسنٌ   والبذلُ أحسنُ ذلك الحَسنِ
كم عارفٍ بي لستُ أعرفهُ   ومخبِّرٍ عنِّي ولم يرني

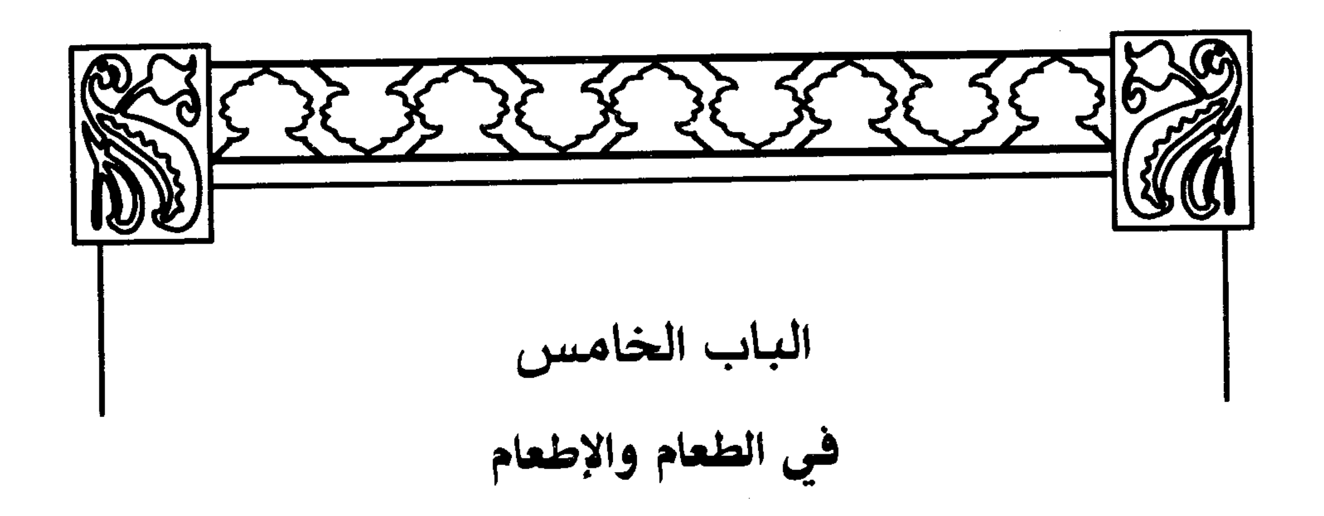
٤١ ـ وكان أبو الفضل البلعمي[1] يقول:

المروءةُ الجمعُ بين الدنيا والدين، فمن تركها تسبَّبَ لسخطِ الخالقِ وذمِّ المخلوقين[2].



(١) أبو الفضل محمد بن عبيدالله بن محمد التميمي البلعمي، وزير من الأدباء الفقهاء البلغاء، من رجال العالم، استوزره الملك السعيد الساماني إسماعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر، مات بخراسان، وله مؤلفات، منها: تلقيح البلغاء. ت ٣٢٩ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٥.

(٢) عين الأدب والسياسة ص ١٣٣، وفيه: .... والتوقي من سخط الخالق...



الباب الخامس

في الطعام والإطعام

وهو بابٌ مفصَّل:

فصل في فضل الطعام والمروءةُ في تنظيفه وتجويده

٤٢ - قال مؤلفهُ رحمهُ الله تعالى: الطعامُ قوامُ الأبدان، ومادَّةُ الحياة، ولا بدَّ منه على كلِّ الأحوال. وكلَّما كان أنظفَ طبخاً، وأحسن لوناً، وأذكى رائحة، وأطيبَ طعماً؛ كان الطبعُ إليه أميل، والهضمُ أجود، والغذاءُ أكثر، والقوَّةُ أبلغ، والقدرةُ على أمورِ الدنيا والدينِ أكمل.

فمن المروءةِ تنظيفه، وتحسينه، وتجويده، وتطييبه.

كيف لا والله عزَّ ذكرهُ يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[1].

وقال أيضاً عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾[2].

***

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

فصل في تنظيف الطبيخ

٤٣ ـ كان أبو عبدالله بن حمدون النديم[١] مبالغاً في تنظيف ما يطبخُ له، مستقصياً في تجويده، بالغاً كلَّ مبلغٍ من تطييبه.

وكان لا يرضىٰ صنعةَ طباخهِ على حِذْقِهِ من صناعته، ويُوْسِعُهُ شتماً وقذفاً، ثم لا يجدُ منه بُدّاً لعدمِ من يقومُ مقامه.

فقال له يوماً: أما تحبُّ أن أعلِّمك الطبخَ وأزيدكَ علماً بما تدَّعيه؟

فقال: نعم يا مولاي، وأدعو لك.

فقال: أنعمْ غسلَ القُدورِ حتى تردَّ بياضها، ثم اضربها بالسباع ودَغْها[٢]، فإذا احتجتَ إليها فأعدْ غسلها بالماءِ الحار، وألقِمها قشورَ الأُتْرُجِّ[٣] وعودَ الهند.

وتأنَّقْ في اختيارِ اللحوم، واعمدْ إلى السمين من الحُمْلان، ونقِّهِ من الغُدَدِ تنقيةً بالغة.

ولا تستعملِ الحطبَ الرطْبَ خشيةَ تدخينِ الطعام.

واستقصِ جدّاً في طفاحةِ القدور[٤].

واحفظْ مقاديرِ التوابلِ لئلا تزيدَ على الحاجة.

وعليكَ بتقويةِ الملح في الإسفيدباجات[٥]، وتقليلهِ في المحمَّضات.

---

(١) أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمدون النديم، إمامي، نادم المتوكل العباسي ثم المستعين بالله، شيخ أهل اللغة، وله مصنفات. ت ٢٦٤ هـ. الوافي بالوفيات ٢٠٩/٦.

(٢) يقال: سبَّع الإناء: غسله سبع مرات.

(٣) الأترج شجر ناعم الأغصان والورق والثمر، حامض الماء.

(٤) اطَّفحَ القدرَ ونحوها: نزع طُفاحتها، والطفاحة: ما طفح فوق الشيء كزبد القدر ورغوتها.

(٥) لعله لفظ فارسي قديم، لم أره في قاموس فارسي، وإذا كان مفرده «الإسفيداج» فهو ملطِّف جلاّء. . . كما في القاموس المحيط.

فإنك إذا طيَّبْتَ طعاماً شهَّيتني وأعنتني على مروءتي، واستمطرتني سماءَ إحساني.

فقال: سمعاً وطاعة. وامتثلَ أمره.

❊ ❊ ❊

فصل في التنعُّم بالطيِّبات

٤٤ ـ كان عيسى بن عليٍّ الهاشميُّ[١] من أحسنِ بني هاشمٍ مروءة: في الطعام، والشراب، والملبوس، والمشموم.

وكان يقول: من جمعَ في طعامِهِ بين الطيرِ والحَمَل، وفي حَلَواتِهِ بين السكرِ والعسل، وفي طِيْبِهِ بين المسكِ والعنبر، وفي ثيابِ صيفهِ بين الدَّبيقِ والعَصْب[٢] وفي ثيابِ شتائِه بين الخزِّ والوَبَر؛ فقد قضى حقَّ المروءةِ والتنعُّم.

٤٥ ـ وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال: كان أبو منصور سعيد بن أحمد يزيدي يقول: لما وليَ الصاحبُ[٣] وزراةَ فخر الدولة[٤]، اشتملَ عليه أبو نصر بن زيد، فاستخصَّهُ واستخلصَهُ لنفسه،

---

(١) هو عمُّ المنصور. خدم أباه ولم يل شيئاً تورعاً، وكان يرجع إلى علم ودين وتقوى. قال ابن معين: كان له مذهب جميل، ويعتزل السلطان، وليس به بأس. ت ١٦٣ هـ. سير أعلام النبلاء ٧/٤٠٩.

(٢) الدبيقية ثياب تنسب إلى «دبيق» قرية بمصر. والعَصْب: ضرب من البرود.

(٣) الصاحب هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد الطالقاني، وزير أديب، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي، ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة منذ صباه. وله مؤلفات. ت ٣٨٥ هـ. الوافي بالوفيات ٩/١٢٥، البداية والنهاية ١٥/٤٥٣.

(٤) فخر الدولة أبو الحسن علي ابن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي. تولى الملك بعد أخيه مؤيد الدولة، مدّة ملكه نحو (١٤) سنة، ومات في شهر شعبان من سنة ٣٨٧ هـ بطبرق، وخلفه ابنه مجد الدولة وكان عمره (٤) سنوات، وكان تدبير الملك يصدر عن أمه. الكامل في التاريخ ٧/١٨٥.

ووسَّعَ عليه بما يصلحُ له، ونادمَهُ وأكرمه، إذ كان من أهلِ بيتِ اليزيديين، إمارة الأمراءِ ببغداد.

فقال له أبو نصر يوماً في معرضِ كلام حصل: صفْ لي ما تحبُّهُ وتشتهيهِ نفسُكَ من طيِّباتِ الأطعمةِ والحلوياتِ، كيما أستدلَّ بذلك على مروءتك.

فقال: نعم، أيَّدَ اللَّهُ الأميرَ مولانا، قشورُ الدجاجِ السمينةِ الفتيَّةِ المشويَّة، والبيضُ النمرشتُ بالملح، وما على جنوبِ الحِمْلانِ التي رضعتْ شهرينِ ورتعَتْ شهرين، من اللحمِ المُجَزَّعِ[1] والسِّكْباجةِ[2] المتحامّة، التي يجمعُ فيها بين لحم البدري ولحمِ الحَمَلِ السَّمين، ثم يُنقى[3] عنها لحمُ البقر، وتحلّىٰ بالجُلاّب[4]، وتطيَّبُ بشعرتينِ من المسكِ والعنبرِ والهريسة، بلحومِ الفراريجِ السِّمان، وفراخِ الحمام، والمبلَّقَةُ[5] بالأرزِ المدقوق، واللبنِ الحليب، والسكرِ الطَّبَرْزدادي[6]، والقطايفُ المعمولةُ باللوزِ المدقوقِ ودهنه، والعسلُ المصفّى المبخَّرُ بالنَّد، المشرَّبُ[7] بالجُلاّب، المُغَشّى بماءِ الورد.

فقال: يا منصور، قد نحلتَ فمي من هذا الوصف، أشهدُ أنك من أهلِ بيتِ المروءة. ووقَّعَ له بمائتي دينار.

٤٦ ـ وقال له يوماً: ما يشهدُ لمروءةِ الرجلِ في داره؟

قال: كثرةُ العيال، من الإماء، والخدم، والمنكوحات، والمركوبات.

---

(١) المجزَّع من اللحم ما كان فيه بياض وحمرة.
(٢) السكباج طعام يُعمل من اللحم والخلّ مع توابل وأفاويه.
(٣) في الأصل: تنقى.
(٤) الجلاب: ماء الورد.
(٥) من البلق، ما فيه بياض وسواد، ولعله كناية عن تزيين الطعام بما ذكر.
(٦) نوع من السكر، قال الفيروزابادي: كأنه نُحت من نواحيه بالفأس.
(٧) في الأصل: المشرَّبة.

فقال: صَدقت.

٤٧ ـ وكان الوزيرُ المهلَّبي[١] يقول: أحبُّ كثرةَ العيال، لأني إذا كانوا قليلاً عندي أستحي أن أقلَّ من المصروف، فلا كُلفةَ عليَّ في كثرتهم، وأستفيدُ التنعُّم.

❋ ❋ ❋

فصل في مروءة الأكل مع الملوك والرؤساء وحسن أدبه

وقد اختصرتهُ من كلام جماعةٍ من الرؤساءِ والكُبَراءِ والبلغاء، دخلَ حديثُ بعضهم في بعض، فرتَّبتهُ وهذَّبته.

٤٨ ـ قالوا: يجبُ على كلِّ من تشرَّفَ بمؤاكلتهم وأُهِّلَ لممالحتهم، أن يستعملَ فيها كلَّ مروءة، ويستخدمَ فيها كلَّ أدب، فتكونُ أظفارهُ مقلومة، وكُمُه نظيفاً[٢]، ولقمَتُه صغيرة، ولا يأكلُ البقل[٣]، ولا يدسّمُ الخَلَّ والملح، ولا ما يجشِّىءُ، أو يغيِّرُ النكهة، أو يدمعُ العين.

ولا يسامرُ أحداً على الخُوَان، ولا يقولُ ينبغي تفقُّدُ الجيران، ولا يأخذُ وجوهَ الرُّغْفَان، ولا يفقأ أعينَ الأنوان[٤]، ولا يلتفتُ إلى مخِّ البيض، ولا مخِّ العظم، وكُلية الحَمَل، وخاصرةِ الجدي، وقفا السمكة، وقَشرِ الدجاج، وكبدِ الدُّرَّاجة[٥].

---

(١) الحسن بن محمد بن هارون المهلبي الأزدي، وزيرُ معزِّ الدولة أحمد بن بويه الديلمي. كان واسع الصدر، عالي الهمة، كريماً. ت ٣٥٢ هـ. وفيات الأعيان ١٢٤/٢.

(٢) في الأصل: نظيف.

(٣) لعله يعني الفول وما إليه، الذي يولِّد الرياح...

(٤) في الأصل «الألوان»، وتصويبه من قبل المحقق، وهو جمع نون، وهو الحوت أو السمكة.

(٥) الدرّاجة نوع من الطير يدرج في مشيه.

ولا يجمعُ بين الحلواءِ الرطبةِ واليابسةِ في لقمَةٍ واحدة، ولا يقارنُ بين لوزينجتين[1] اثنتينِ مرَّةً واحدة.

❋ ❋ ❋

فصل في الإطعام والضيافة

٤٩ ـ كان عبدالله بن أحمد بن يوسف[2] يقول:

المروءةُ الكبرى إطعام الطعام، ومجالسةُ الكرام[3].

٥٠ ـ وكان أبو محمد الفيّاض[4] لا يأكلُ وحده، فاستدعىٰ يوماً شيئاً يلتهي به إلى أن يتهيّأ طعامه، فأُتِيَ بشيءٍ يسيرٍ وعنده بعضُ إخوانه، فسألهم أن يساعدوهُ في المأكل، فامتنعوا لقلّته، فلمّا امتنعوا امتنعَ الفيَّاضُ من مدِّ يدهِ إليه دونهم، وقال: لا يضيقُ عن أكلي ما يسعني، فقال: لا أدري أهذه اللفظةُ أفصحُ أم هذه المروءةُ أحسن؟ وأقسَمَ عليهم أن يشاركوه؛ ففعلوا!

٥١ ـ وكان العباس بن الحسن العلوي[5] يقول: الناسُ من الاحتفالِ في غلط، والمروءةُ تقديمُ ما حضر.

وكان يقول: إذا طُرقتَ فما حضر، وإذا دعوتَ فلا تَذَر!

---

(١) في الأصل: «ولا يقارب بين لوزيجتين» وتصحيحه من قبل المحقق. واللوزينج من الحلوى: شبه القطائف، يؤدم بدهن اللوز.

(٢) عبدالله بن أحمد بن يوسف بن أبي جعفر الكاتب، أبو محمد. كان والده كاتب المأمون، وزيراً له. وكان المترجم له يتقلد السرَّ للمأمون وبريد خراسان وصدقات البصرة. الوافي بالوفيات ١٧/٤٠.

(٣) عين الأدب والسياسة ص ١٣٣.

(٤) هو كاتب سرِّ سيف الدولة ونديمه، أبو محمد عبدالله بن عمرو بن محمد الفياض الحلبي. يتيمة الدهر ١/١٣٠.

(٥) العباس بن الحسن بن عبيدالله بن عباس بن علي بن أبي طالب، أبو الفضل العلوي المدني. قدم بغداد في دولة الرشيد، ثم صحب المأمون. وكان شاعراً بليغاً مفوها. ت ١٩٣ هـ. تاريخ الإسلام ٤/١١٣٥، الوافي بالوفيات ١٦/٦٤٨.

٥٢ ـ وكان الحسن بن سهل يقول: بأبي وأمي أميرُ المؤمنينَ المأمون، فما كان أكرمَهُ وأكبرَ مروءته، لا سيّما في قولِهِ الذي يجبُ أن يُجعلَ قبلةً يُصلّى إليها في المروءةِ والجود:

قـدِّمْ طعـامـكَ وابـذلْـهُ لـمـن دخـلا واحلفْ على من أتى واشكرْ لمن أكلا
ولا تكـن سابريَّ العرض محتشمـاً من اليسير فلستَ الدهرَ محتفلا[١]

٥٣ ـ ومن أحسنِ ما قيلَ في الضيفِ والمروءةِ في معناهُ قولهم:

الضيفُ دليلُ الخير، وعادةُ الجود، وسليقةُ الكرم، ومادَّةُ المحامد.

وإطعامُ الأضيافِ من عاداتِ الأشراف.

والحرُّ عبدُ الضيف.

والضيفُ عبدُ الحرّ.

وعلى ذكرِ أن الحرَّ عبدُ الضيفِ يقولُ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

وإنـي لـعبـدُ الـضيـفِ مـا دامَ نـازلاً وما فيَّ إلا تلك من شِيمِ العبدِ[٢]

٥٤ ـ ومن مروءةِ المضيفِ أن يفسحَ عليه، ويخدمه بنفسه، ولا يكلَ خدمتَهُ إلى غيره، وأنْ يوليَهُ بشاشةً كثيرة، وأنْ يؤانسَهُ بحديثٍ يناسبهُ لاستجلابِ أُنسه، ويتوصَّى بدابَّتهِ ورفيقهِ أو خَدَمه، ويقتدي في الوصيَّةِ بالدابَّةِ بقولِ القائل، فإنه قدوةٌ في بابه:

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ٣٩٩/١، والبيت الأول ورد فيه هكذا:
أعـرض طـعـامـك وابـذلـه لـمـن أكـلا واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا

(٢) ورد هذا البيت غير منسوب في «المجالسة وجواهر العلم» رقم ١/٢٢٣٤ ضمن مجموعة أبيات، ذكر محققه أنه ليس في كل النسخ من مخطوطته، وعجزه فيه:
وما من خلالي غيرها شيمةُ العبد. كما أورده أبو الفرج الأصفهاني ضمن أبيات في قصة قالها قيس بن عاصم المنقري لزوجته منفوسة بنت زيد الفوارس. الأغاني ٧٢/١٤.

مطيَّةُ الضيفِ عندي مثلُ راكبها　　لن يُكرمَ الضيفُ حتى تُكرمَ الفرسُ

قلت: لكني أستحي من قوله: «مثل صاحبها» ولا أستحسنُ المماثلةَ هذه، بل قال ـ أعني المؤلف ـ: كان ينبغي أن يقول: مطيَّةُ الضيفِ عندي تلوَ صاحبها[1]. انتهى.

ولي كتابٌ في أمثالِه لم أحرِّزْهُ بعد.

٥٥ ـ ومن شعرِ المروءةِ في هذا الباب، قولُ عمارة بن منقذ بن بلال بن جرير في خالد بن يزيد[2]:

تـأبـى خـلائـقُ خـالـدٍ وفـعـالـهُ　　إلا تـجـنُّـبَ[3] كـلَّ أمـرٍ عـائـبِ

وإذا حـضـرنـا الـبـابَ عـنـد غـدائـه　　أذن الـغـداءُ لـنـا بـرغـمِ الـحـاجـبِ[4]

وقولهِ الآخر:

أبـلـجُ بـيـن حـاجـبـيـهِ نـورهُ　　إذا تـفـدَّىٰ رُفـعـتْ سـتـورهُ[5]

٥٦ ـ وكان أحمد بن صالح بن سيردار[6] الوزيرُ يقول:

من مروءةِ المضيف أن يكونَ حظُّ العينِ والأنفِ كحظِّ الفمِ من

---

(١) ورد الشطر الأول كما قاله المؤلف في المستطرف ٣٩٦/١.

(٢) ورد في الأصل: «قول عمار بن منقذ بن بلال بن جرير بن خالد بن يزيد»! وتصحيحه من مصدره. ولعل المقصود خالد بن يزيد بن معاوية، أخو الخليفة معاوية، ذكر للخلافة عند موت أخيه فلم يتم ذلك، وغلب على الأمر مروان. وكان موصوفاً بالعلم وقول الشعر. ت ٨٥ هـ. سير أعلام النبلاء ٣٨٢/٤.

(٣) في الأصل: «أن لا تحبب».

(٤) الأغاني ٢١٣/٢٤.

(٥) أساس البلاغة ٤٨/١، محاضرات الأدباء ٧٢٩/١.

(٦) في الأصل «شيرزاد». وهو أحمد بن صالح بن سيردار القطربلي، أبو بكر. كان المستعين بالله أراده على الوزارة بعد استتار وزيره أبي صالح بن يزداد، فخشي من أمور فتركه، ثم ولاه المعتمد الوزارة. وكان شاعراً ظريفاً حسن المروءة. مات في بغداد سنة ٢٦٦ هـ. الوافي بالوفيات ٤٢٠/٦.

طعمه، أي: يجبُ أن يكونَ حسنَ اللون، ذكيَّ الريح، طيِّبَ الطعم.

٥٧ ـ وكان ابن سيرين[١] ـ رحمه الله ـ إذا دُعيَ إلى وليمةٍ نالَ قبلَ حضورها شيئاً من الطعام، وكان يقول: ليس من المروءةِ أن أُبديَ نُهمةَ نفسي في طعامِ غيري.

وكان يقول: من المروءةِ أن لا أُلقي حُمَّةَ جوعي[٢] على طعامِ الناس[٣].

٥٨ ـ وقال أبو المعافى بن الصوفي:

إن ابن المعتزّ[٤] كان يقول: ليس من المروءةِ الإفراطُ في الانتقالِ للولائم.

وكان يقول: يدلُّ على سقاطةِ المروءةِ كثرةُ الإجابةِ للدعوات، والإسرافُ في الاحتشاد[٥].

٥٩ ـ وقال مرَّة: دعانا النمريُّ فأحسنَ وأسرف، حتى لم يبقَ من فضلِ مالهِ ما يُضيفنا به مرَّةً أخرى.

٦٠ ـ قالوا: وربما كان الإسرافُ سبباً للتقصيرِ فيما إليه المصير.

٦١ ـ وكان يقول: من كثرتْ في دعوتهِ نفقتهُ انثلمَ مالهُ وكثرَ ندمه، ومن كثرَ ندمُه قلَّتْ دعوتَهُ ونقصتْ مروءته.

---

(١) شيخ البصرة مع الإمام الحسن البصري، تابعي جليل، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وسمع خطبة عثمان، وشهد يوم الدار. طُلب للقضاء ففرَّ إلى الشام وإلى اليمامة. قال مؤرق العجلي: ما رأيت أفقه في ورعه من محمد بن سيرين. ت ١١٠ هـ. العبر ١/١٠٣.

(٢) حمَّة الجوع: حرارته.

(٣) الزهد للإمام أحمد ٢/٢٨٠، حلية الأولياء ٢/٢٦٦.

(٤) الأمير أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز، ابن المتوكل. أديب بليغ وشاعر مطبوع، مخالط للعلماء والأدباء، معدود من جملتهم. أقيم خليفة يوماً وليلة ليعود المقتدر إلى منصبه. ت ٢٩٦ هـ. الوافي بالوفيات ٣/٣٤١.

(٥) الاحتشاد: الاجتماع. ويعني الكثرة.
وعدم إجابة الدعوة مناف للآداب الإسلامية، إلا إذا كانت هناك موانع مقبولة.

٦٢ ـ وكان يقول: من امتنعَ من استدعاءِ أصحابهِ خيفةً من عدمِ التهيُّؤِ بما يناسبُ مقامهم، مكثَ عمرَهُ بلا زيارةِ صديق.

٦٣ ـ وقال مؤلفُه رحمه اللَّهُ تعالى: لا مروءةَ لمن لا يجتمعُ الإخوانُ على خُوانه، ولا تقعُ الأجفانُ على جِفانه[1].

❋ ❋ ❋

فصل في مباكرة الغداء

٦٤ ـ قال مؤلفهُ رحمه الله: المباكرةُ مباركة، تطيِّبُ النكهة، وتطفىءُ المِرَّة[2]، وتعصمُ القوَّة، وتُعينُ على المروءة؛ لأنها تصونُ المرءَ عن الشَّرَهِ إلى طعامِ غيره.

وإنْ حضرَ مائدةَ محتشمٍ لم يُظْهِرْ نُهمتَهُ فيه، فمن بابٍ أولى من سواه.

وإنْ نابَهُ حادثٌ يشغلهُ عن طعامهِ لم يؤثِّرْ ذلك في حاله؛ لأنه قد قضىٰ وطراً من غدائه.

ومن مرافقِ المباكرةِ في الصيفِ بردُ الشراب، وقلَّةُ الذباب. وفي الشتاء: طولُ الليل، وهضمُ المعدة. وابنُ الرومي[3] يقول:

باكرتهُ والطيرُ في البكورِ   وغُررُ اللذّاتِ في البكورِ

❋ ❋ ❋

(١) الأجفان جمع جفنة، وهي القصعة.
ونقل قول المؤلف هذا ابن هذيل في «عين الأدب والسياسة» ص ١٣٣.

(٢) المِرَّة ـ بكسر الميم ـ مزاج من أمزجة البدن.

(٣) الشاعر المشهور، اسمه علي بن العباس، رومي الأصل، ولد ونشأ ببغداد. ت ٢٨٣هـ.

فصل في مروءة شهر رمضان

٦٥ ـ قال مؤلفهُ رحمهُ الله: شهرُ رمضانَ في الأيّام، كالنبيِّ ﷺ في الأنام، شهرُ الصيامِ والقيامِ والإطعام، والتسبيحِ والتراويح، والمروءةِ والفتوَّة.

٦٦ ـ قال: وسمعتُ أبا القاسم الصاحبَ يقول:

حضرتُ مجلسَ الرئيس ابنِ العميد[1] من عشايا رمضان، وقد حضرَهُ الفقهاءُ والعظماء، وأنا في ريعانِ شبابي وعنفوانِ عمري، فأرادَ القومُ الانصراف، فما ألزَمَهم بالإقامة، فأنكرتُ ذلك عليه، واستعجبتُ إغفالَهُ المروءةَ في عدمِ تفطِيرهِ الحاضرين، وتوجهّتُ إلى بيتي، فوجدتُ فيه أصنافاً من المآكلِ والحلوى لا تُحصى، جهَّزها لي ولكلِّ من كان حاضراً هناك. وكان هذا طبعَهُ في شهرِ رمضان، بل وفي الإفطار، لمن لم يتعشَّ عنده[2].

قلت: ومع هذا فكان لا يُنسَبُ ـ بمقتضى ذلك ـ إلى تمامِ المروءةَ، كونَ الناسِ لم يتعشَّوا عنده.

٦٧ ـ وكان الصاحبُ بن عبّاد ـ رحمهُ الله ـ لا يَدْخُلُ عليه أحدٌ بعد العصرِ ـ كائناً من كان ـ ويمكِّنهُ من الخروجِ إلا بعد الإفطارِ عنده.

وكانت صِلاتهُ وصدقَاتهُ وقُرباتُهُ ومروءتَهُ في الشهر، تبلغُ مقدارَ ما نفق منها في جميع شهورِ السنة[3].

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن العميد الكاتب، الوزير الكبير. وزير الملك ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي. قال الذهبي: كان عجباً في الترسل والإنشاء والبلاغة، يُضرب به المثل، ويقال له الجاحظ الثاني، وكان متفلسفاً متهماً بمذهب الأوائل. عذب وقتل سنة ٣٦٠ هـ. سير أعلام النبلاء ١٣٧/١٦.

(٢) الوافي بالوفيات ١٢٨/٩.

(٣) المصدر السابق ١٢٨/٩ ـ ١٢٩.

٦٨ ـ وحدَّثني أبي، عن عبدالله بن أبي معاذ الجرجاني قال:

كان من مروءةِ أبي عبدالله بن أبي معاذ الجرجاني أن لا يدخلَ عليه أحدٌ في شهرِ رمضانَ قبل الظهرِ إلا عطَّره، وبعد العصرِ إلا فطَّره.

وكان يقول: الطِّيبُ غذاءُ الصائم.

٦٩ ـ وقلتُ أنا في صديقٍ لي زارني في شهرِ رمضان وعرضتُ عليه الطِّيب:

ويومٍ غذاءُ النفسِ فيه محرَّمٌ	وكلُّ غذاءِ الروحِ فيه محلَّلُ
فهل لك في غِيمٍ من الندِّ مُنْشأ	يظلُّ بماءِ الوردِ عندك يهطلُ
به عبقٌ كالخلقِ منكَ نسيمهُ	وخلقُكَ أزكى منه عرفاً وأفضلُ

٧٠ ـ وكان أبو نصر سهلُ بنُ المرزبان[1] يقول:

من المروءةِ تفطيرُ الجيران والإخوان في شهرِ رمضان، وتركُ إجابتهم إلى الإفطارِ عندهم.

٧١ ـ وهذا كما يُقال: من المروءةِ إدامةُ الإهداء، وتركُ الاستهداء[2].



(١) أبو نصر سهل بن المرزبان الأصبهاني، استقرَّ بنيسابور، جمع من الكتب الكثير، وله تصانيف، منها «أخبار أبي العيناء» و«أخبار جحظة البرمكي». ت ٤٢٠ هـ. الوافي بالوفيات ٢١/١٦.

(٢) ونقله عنه صاحب «عين الأدب والسياسة» ص ١٣٣.



الباب السادس

في مروءة الثياب

٧٢ ـ كان ابنُ عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول:

المروءةُ الظاهرة في الثيابِ الطاهرة[(١)]. ثم يتلو: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[(٢)].

٧٣ ـ وكان هشام بن عبدالملك يقول: البسْ من الثيابِ ما لا تُشتهرُ فيه ولا تُحتقرُ به، فهو من المروءة.

٧٤ ـ ونظرَ أبو عمرو بن العلاء[(٣)] إلى فتًى من أصحابهِ وعليه ثوبٌ مشتَهرٌ تأخذهُ العيون، فقال له: يا بني، من المروءةِ أن تأكل ما تشتهي، وتلبسَ ما يشتهي الناس.

---

(١) ورد من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ «المروءة الظاهرة: الثياب». كما في «المروءة» لابن المرزبان رقم (٢٤)، وأورده غير منسوب ـ بلفظ المؤلف ـ في محاضرات الأدباء ٣٦٥/١، وكذا في عيون الأخبار ٢٩٦/٣، والظرف والظرفاء ص ٩٢، باللفظ الذي أورده المؤلف في المتن. بينما هو عند الجاحظ من قول طلحة بن عبيدالله. البيان والتبيين ٣٠٢/١.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤.

(٣) هو زبان بن عمار التميمي، عُرف بكنيته، وبلقب والده «العلاء»، مقرىء البصرة، أحد السبعة. قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تنسَّك فأحرقها. ت ١٥٤ هـ. العبر ١٧١/١.

وقد أخذَ هذا المعنى القائل:

إن العيونَ رَمَتْكَ[1] إذ فاجأْتَها ... وعليكَ من شُهْرِ الثِيابِ لباسُ

أما الطعامُ فكُلْ لنفسِكَ ما اشتهتْ ... واجعلْ ثيابكَ ما اشتهتْهُ الناسُ[2]

٧٥ ـ وقال سليمان بن عبدالملك[3] ليزيد بن المهلَّب[4]: يا أبا خالد، إني لأكرَهُ منكَ ثلاثاً.

قال: وما هي يا أميرَ المؤمنين؟

قال: طِيْبُكَ يُرى وطِيْبُ الرجالِ يُشَمُّ ريحهُ ولا يُرىٰ لونه، وخُفُّكَ أبيضُ ومن المروءةِ أن يخالفَ الخُفُّ الثياب، وتُكثرُ مسَّ لحيتك.

فأطرق رأسَهُ، وغيَّرَ الطِّيْبَ والخُفّ، ولم يَدَعْ مسَّ لحيته. وكان يقول: ما رأيتُ عاقلاً يلمُّ به أمرٌ إلا كان معوَّلهُ على لحيته!

٧٦ ـ وكان المهلَّبُ يقولُ لبنيه: يا بَنيَّ، أحسنُ ثيابكم ما كان على غيركم[5].

وقد أشارَ إليه أبو تمام في قصيدته، بقولِهِ لمن يستكسيه:

فأنتَ العليمُ الطَّبُ أيُّ وصيَّةٍ ... بها كان أوصىٰ في الثيابِ المهلَّبُ[6]

٧٧ ـ وكان الحسن بن مَخْلَد[7] يقول:

---

(١) في الأصل «منك».

(٢) المستطرف ٦١/٢.

(٣) سليمان بن عبدالملك، الخليفة الأموي، ت ٩٩ هـ.

(٤) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير جواد ممدَّح، كثير الغزو والفتوح، في العصر الأموي. قتل بعد أن نابذ بني أمية سنة ١٠٢ هـ. العبر ٩٣/١، سير أعلام النبلاء ٥٠٣/٤.

(٥) اصطناع المعروف لابن أبي الدنيا رقم (٦٥)، محاضرات الأدباء ٣٦٩/٢.

(٦) وردت الحكاية مع البيت في وفيات الأعيان ٣٥٣/٥. والطَّب: الحاذق الماهر.

(٧) الحسن بن مخلد بن الجراح البغدادي، أبو محمد، الوزير الأكمل، أحد رجال العصر سؤدداً ورأياً وتهامة وبلاغة ونبلاً، انتهت حياته بالموت تحت التعذيب سنة ٢٧١ هـ. قال الذهبي: وكان مع ظلمة شاعراً جواداً ممدحاً. سير أعلام النبلاء ٧/١٣.

من المروءةِ أن يُلبسَ المرءُ خَدَمَهُ وحشَمَهُ مثلما يلبس، ليكونَ امتثلَ أمرَ الله سبحانه وتعالى في قولهِ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾[1]، وليُرغمَ أنفَ حاسده، وليستميلَ قلوبَ حاشيته.

٧٨ ـ قال جحظة البرمكي[2].

ما رأيتُ على أحدٍ من الموالي مثلَ ابنِ عبدون، فإنه ما لبسَ[3] ثياباً مبطَّنةً إلا والبِطانةُ[4] أجودُ من الظِّهارة، فإنه كان يقول: البِطانةُ لبدني، والظِّهارةُ للناس.

٧٩ ـ وحدَّثني أبو القاسم الأليماني[5] أن أبا[6] جعفرَ العتبيَّ كان يقول:

هذه هي المروءة. ويلبسُ البُرُودَ البَزَّازية مبطَّنةً بالخزوزِ الثمينة[7].

٨٠ ـ وحدثني أبو سعيد أحمد بن محمد قال: كان الأميرُ الرشيدُ أبو الفوارس عبدالملك بن نوح[8] يقول:

لا يحسنُ بالملوكِ والساداتِ لبسُ الثيابِ الملوَّناتِ المُصْبَغات، وليستِ

---

(١) سورة الضحى: الآية ١١.

(٢) هو أحمد بن جعفر البرمكي، أخباريٌّ نديم بارع من بغداد. كان ذا فنون ونوادر وآداب، رأساً في التنجيم، مقدماً في لعب النرد وصناعة الأغاني. ت ٣٢٦ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٢١/١٥.

(٣) في الأصل: لبث.

(٤) البطانة ما يبطَّن به الثوب، وهي خلاف ظهارته.

(٥) أبو القاسم علي بن الحسين الأليماني أصله من الري ومقامه بنيسابور بعد تركه التصرف، وكان يقول شعراً مليحاً، قاله الثعالبي في يتيمة الدهر ٣٠٥/٥.

(٦) في الأصل: أباه.

(٧) في الأصل: البرد البرازية، والبرود جمع بُرْد، كساء مخطط يلتحف به.
والبزّ: نوع من الثياب. والخزّ: ما ينسج من صوف وإبريسم، أو ما ينسج من إبريسم خالص.

(٨) عبدالملك بن نوح الساماني، متولي بخارى وسمرقند، ت ٣٥٠ هـ. تاريخ الإسلام ٨٩٤/٧.

الثيابُ الملوَّناتُ من لباسِ الأحرارِ ذوي المروءات، بل هي من ثيابِ الغلمانِ والنسوان، وليس للملوكِ والكبراءِ إلا الدَّبيقي[١] والخفيُّ النيسابوري[٢]، والعتابُ النيسابوري، والحريرُ الحروري، والمُضْمَتُ الصيني[٣]، والواديُّ السمرقندي.

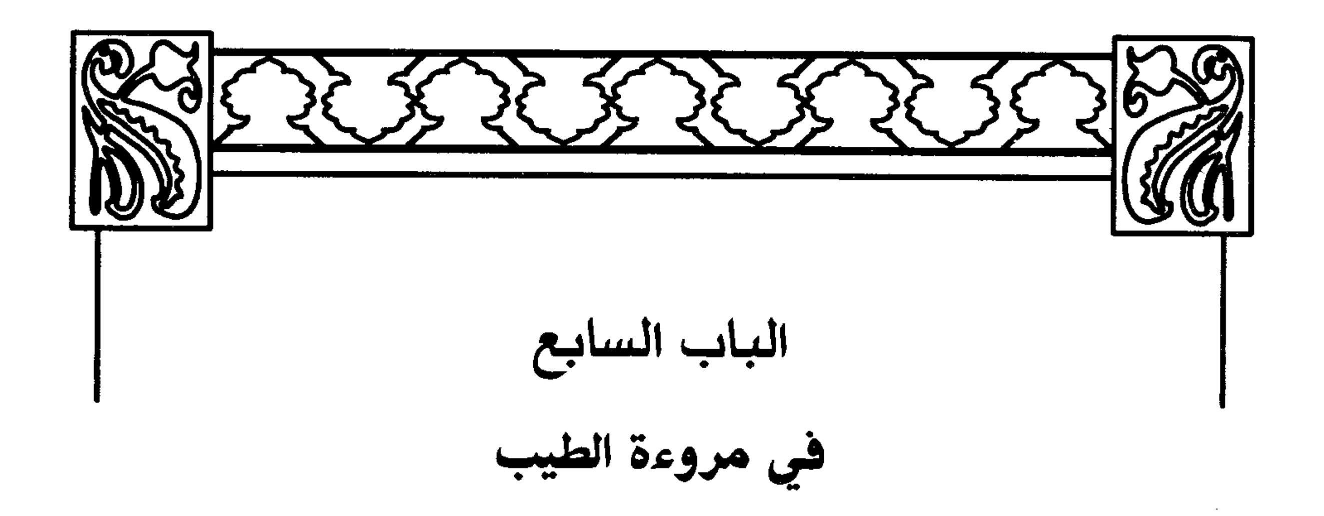
٨١ ـ وحدَّثني أبو الحسين الغسّاني قال:

كان أبو عمرو القاضي قد تجاوزَ حدَّ المروءةِ في حسنِ الثياب، ويُشْهِرُها، وكان عليُّ بن عيسى الوزيرُ[٤] مقتصداً متواضعاً فيها. فنظرَ إليه يوماً في الديوان وعليه ثيابٌ في نهاية الحُسْنِ والشُّهرة، وعلى أبي عمرٍو من ثيابِ الأوساطِ من الناس، فأنكرها وقال: يا أبا عمرو، ما هذه الشُّهرة؟ أمَا لكَ فينا أُسوة، وبنا قدوة؟

فقال: أصلحَ الله الوزير، هو فوق كلِّ مروءةَ فلباسهُ تتجمَّلُ[٥] به، وما لي مروءةٌ فأنا أتجمَّلُ بلباسي.



(١) الدبيقية ثياب تُنسب إلى «دبيق» قرية بمصر.
(٢) لعله من الخفاء، الذي هو كالكساء لفظاً ومعنى.
(٣) المصمت من الألوان: الخالص الذي لا يخالطه غيره.
(٤) علي بن عيسى بن داود البغدادي الكاتب، أبو الحسن. وزر غير مرة للمقتدر وللقاهر، وكان إماماً محدِّثاً صادقاً عادلاً، ذا دين متين وعلم وفضل، كثير الصدقات والصلوات، بليغاً، وله مؤلفات. ت ٣٣٤ هـ. سير أعلام النبلاء ١٥/٢٩٨.
(٥) في الأصل: يتجمل.



الباب السابع

في مروءة الطيب

٨٢ ـ قال جعفر بن سليمان الهاشمي[١]: الطِّيبُ لسانُ المروءة[٢].

٨٣ ـ وقال محمد بن عبيدالله[٣]: في الطِّيبِ أربعُ خصال: سُنَّة، ومروءة، ولذَّة، وقوَّة[٤].

٨٤ ـ وكان مكحول الشامي[٥] يقول: من نظَّفَ ثوبَهُ قلَّ همُّه، ومن طابَ ريحهُ زادَ عقله، ومن جمعَ بينهما ظهرتْ مروءته[٦].

٨٥ ـ وقال المبرِّد في كتابه «الكامل»: ثلاثةٌ تحكمُ لهم بالشرفِ

---

(١) أبو القاسم جعفر بن سليمان بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، سيد بني هاشم، ابن عم المنصور. ولي المدينة ثم مكة فالبصرة، وكان من النبلاء، جواداً، شجاعاً، عالماً، ذا جلالة وسؤدد. ت ١٧٤ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٣٩/٨.

(٢) عين الأدب والسياسة ص ١٣٤ (غير منسوب).

(٣) في الأصل «محمد بن عبدالله». وهو أبو عبدالرحمن محمد بن عبيدالله العتبي الأموي البصري، العلامة الأخباري المجود. كان يشرب، له تصانيف أدبيات وشهرة، مات له بنون فكان يرثيهم. ت ٢٢٨ هـ. سير أعلام النبلاء ٩٦/١١، الوافي بالوفيات ٣/٤.

(٤) عين الأدب والسياسة ص ١٣٤.

(٥) فقيه الشام أبو عبدالله مكحول بن شهراب الشامي. أرسل عن طائفة من الصحابة، وسمع من أنس وغيره. قال: طفت الأرض في طلب العلم. وقال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه من مكحول. ت ١١٣ هـ. العبر ١٠٧/١.

(٦) محاضرات الأدباء ٣٨٥/٢ (غير منسوب).

والمروءةِ قبل أن تعرفهم: رجلٌ شممتَ منه طِيْباً، ورجلٌ رأيته يُعْرِبُ كلامَهُ في بلادِ العجم، ورجلٌ راكبٌ فرساً جواداً[١].

٨٦ ـ وكان بعض الملوكِ يقول:

من قوَّةِ المروءةِ تقويةُ الرياحينِ بالطِّيب، فالوردُ بالمسك، والبنفسجُ بالعنبر، والنرجسُ بماءِ الورد، والمَنْثورُ[٢] بالبخور، والياسمينُ بالعنبر.

٨٧ ـ وكان يقول: الاستقصاءُ مذمومٌ في كلِّ شيءٍ إلا في البخور، فإنه من المروءة.

قال الصاحب: في اتِّخاذه، لا في استعماله.

٨٨ ـ وسمعتُ أبا القاسم يقول: سمعتُ أبا أحمد يقول:

أربعةٌ من المروءةِ لا يجبُ أن يُخَلَّ بها: السِّواك، والخِلال[٣]، والمرتك[٤]، والبخور.

٨٩ ـ وكان أبو محمد الفياضي الحلبي كاتبُ سرِّ سيفِ الدولةِ يعجنُ مدادَهُ بالمسك، ويَلِيقُ[٥] دُواتَهُ بماءِ الورد، تفادياً من قول أبي الفتحَ كشاجم[٦] في بعض الكتّاب:

دخيلٌ[٧] في الكتابةِ لا رويٌّ ... له فيها يعدُّ ولا بديهُ
كأنَّ دُواتَهُ من ريقِ فيه ... تُلاقُ فريحُها أبداً كريهُ

---

(١) المروءة لابن المرزبان رقم (٧٠) للعتبي، عيون الأخبار ٢٩٦/١ (للأصمعي).

(٢) هو نوع من أنواع الزهور يكثر في مصر، ذو رائحة ذكية، واحدته «منثورة».

(٣) هو العود الذي يتخلَّل به.

(٤) المرتك، بفتح الميم وكسرها، أو المرتج، هو المُرْدَارْسَنج، وقد تسقط الراء الثانية، يستعمل لطرد ريح الصنان من المغابن. نفح الطيب ١٢٧/٣، القاموس المحيط مادة «مرتج» و«المردارسنج».

(٥) أي: يلصق.

(٦) أبو نصر محمود بن حسين، المقلب بـ «كشاجم»، شاعر زمانه، كاتب، منجم، من أهل الرملة بفلسطين، استقر بحلب، ت ٣٦٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٦.

(٧) في اليتيمة: دعيٌّ.

وقد مُدِحَ الفياضيُّ بما ذكرتهُ مَنْ قال:

في كفِّهِ مثلُ لسانٍ[1] الصعدهْ أرقشُ بزَّ الأُفعُوانَ جلدَهْ[2]
كأنما النقشُ إذا استمدَّهْ غاليةٌ مَذُوقةٌ بنَدّهْ[3]

٩٠ ـ وكان الأميرُ أبو المظفَّر بن زيد بن ناصر الدين ـ رحمه الله ـ يأمرُ برشِّ بيتٍ له في قصرهِ المشرفِ على بستانهِ بماءِ الوردِ الفارسي، وينضدُ فيه من البطِّيخِ والتفّاحِ والرياحين شيئاً كثيراً، ويوضَعُ حولها أوانٍ من النبيذِ مكشوفة، بعد أن يرشَّ مقداراً صالحاً منه.

ويبخَّرُ البيتَ بالنَّدِّ المثلَّثِ الفائق، ويُساقُ دخانهُ بالمناديلِ إليها. فإذا عبقتْ تلك الروائحُ بعضُها ببعض؛ حكتْ نوذجَ الجنَّةِ التي وُعِدَ بها المتقون!



(١) في المصدر السابق: سنان.

(٢) الصعدة: القناة المستوية. الأرقش: المزخرف. الأفعوان: ذكر الأفاعي.

(٣) مذوقة: ممزوجة، وورد في الأصل «مذوفة»، وفي اليتيمة: «مدوفة»؟ والندّ: ضرب من النبات يتبخر بعوده.
والخبر مع الأبيات في يتيمة الدهر ١/١٣١.



الباب الثامن

في مروءةِ الدُّور

٩١ ـ دارُ الرجلِ عشُّه، وفيها عيشه، وهي مقرُّ نفسه، ومأوى أُنسه، ومجمعُ مروءته(١).

وما أحسن قولَ القائل:

ومن المروءةِ للفتى ما عاشَ دارٌ فاخرهْ
فاقنعْ من الدنيا بها واعملْ لدارِ الآخرهْ(٢)

٩٢ ـ ولمّا دخلَ الموفَّقُ(٣) البصرةَ وطافها، ورأى حُسْنَ دُورِ المهالبةِ قال:

صدق واللَّهِ مَنْ قَال: المهالبةُ قريشُ اليمن، وهذه منازلُ قومٍ تشهدُ لهم بالمروءةِ والسؤدد.

---

(١) عين الأدب والسياسة ص ١٣٤.

(٢) البيتان في نفح الطيب ٣/٣٥١.

(٣) لعله ولي عهد المؤمنين الأمير الموفق طلحة [أو محمد] ابن المتوكل على الله جعفر العباسي، أخو الخليفة المعتمد وولي عهده، والد أمير المؤمنين المعتضد. كان جواداً نبيلاً شجاعاً مهيباً، محبوباً إلى الرعية، استأصل طاغوت الزنج. ت ٢٧٨ هـ. تاريخ الإسلام ٦/٦٣٣، سير أعلام النبلاء ١٣/١٦٩.

٩٣ ـ وكان جعفر الصادق[١] ـ رضي الله عنه ـ يقول:

سعادةُ المرءِ سعةُ داره، وحسنُ مجلسه، ونظافةُ متوضَّأه.

٩٤ ـ وقال بعضهم: أحسنُ ما في الدُّورِ بيوتُ الضيافاتِ، الدالَّةِ على المروءات.

٩٥ ـ وسمعتُ أبا جعفر محمد بن موسى الموسويَّ يقول:

كان أبو حاتم الطوسيُّ من أحسنِ الناسِ مروءة، على قصورِ حاله.

٩٦ ـ وكان يقول: قال يحيى بن خالد البرمكي[٢]:

تأنَّقوا في الدهليز، فإنَّهُ وجهُ الدار، ومتنفَّسُ الخدم، ومجلسُ الصديقِ إلى أنْ يُؤذنَ له.

٩٧ ـ وأنا أقول: ينبغي أن يكونَ التأنُّقُ في المستراح، والتنظيفُ العظيمُ فيه، والتحسينُ والتوسيعُ به أكثرَ من غيره؛ لأنه بيتُ أهمِّ المهمَّات، وأكبرِ الحاجات. وربما لم يدخلْ صاحبُ الدارِ بيوتَ دارهِ من المدَّةِ المتراخيةِ وقد حلَّ إلى أن يدخلَ هذا في اليوم الواحد أكثرَ من المرَّةِ والمرَّتَين؛ فلهذا يكونُ أروحَ لدخولهِ وأنظف، ليرتَاحَ به. ويدلُّ ذلك على مروءةِ صاحبه.

وقد سبقَ إلى وصفهِ وتفرَّدَ بمدحهِ وأجادَ أبو إسحاق الصابىء[٣]، حيث قال:

---

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، المعروف بالصادق، سيد بني هاشم في زمانه، صدوق فقيه إمام. عاش ثمانياً وستين سنة وأشهراً. ت ١٤٨ هـ. تقريب التهذيب ص ١٤١، العبر ١/١٦٠.

(٢) وزير الرشيد المعروف، وعند محنتهم قتل الرشيد ابنه جعفراً وخلَّد هذا في السجن، مات بالرقة سنة ١٩٠ هـ وله سبعون سنة. تاريخ الإسلام ٤/٩٩٩.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء الحرّاني، الأديب البليغ، صاحب الترسل البديع، كان مشركاً، حرصوا عليه أن يسلم فأبى، وكان يصوم رمضان ويحفظ القرآن، ويحتاج إليه في الإنسان، وله نظم رائق، كتب لعز الدولة بختيار. ت ٣٨٤ هـ. سير أعلام النبلاء ١٦/٥٢٣.

أحقُّ بيتٍ من بيوتِ الورى ... يزورهُ المولى بمقدارِهِ[1]
بيتٌ إذا ما زارَهُ زائرٌ ... فقد قضى أعظمَ أوطارِهِ
يدخلهُ المولى بخزٍّ[2] كما ... يدخلهُ العبدُ بأطمارِهِ
وهو إذا ما كان مستنظفاً ... مروءةُ الإنسانِ في دارِهِ[3]

٩٨ ـ وسمعتُ الأليماني يقول: سمعتُ القزوينيَّ يقول:

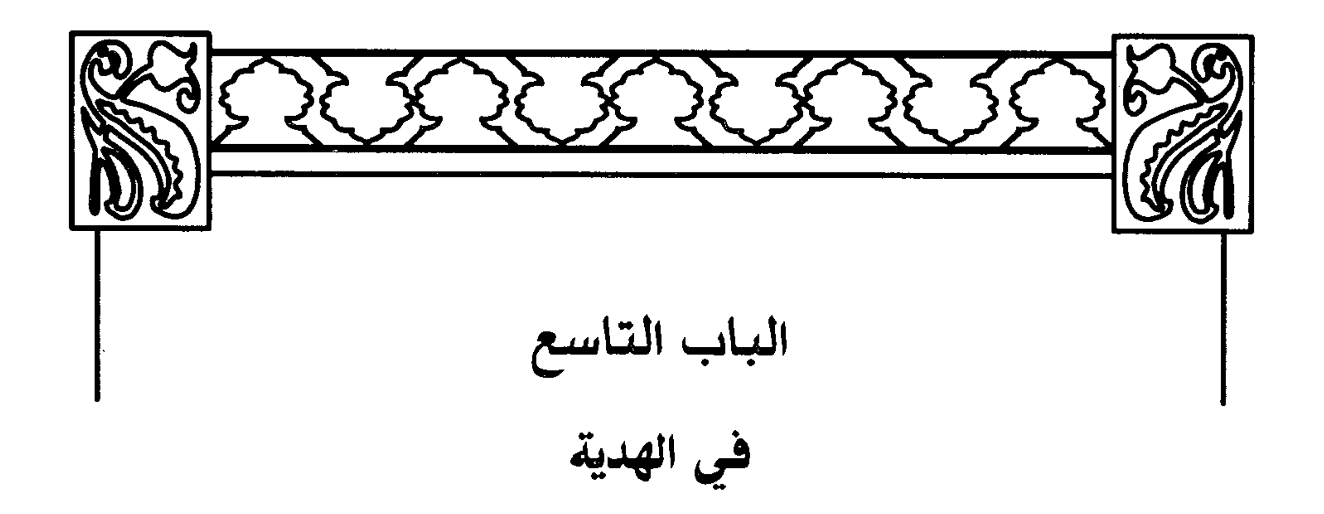
من مروءةِ الرجلِ أن يقعدَ على بابِ دارِهِ وينظرَ في دفتر[4].

٩٩ ـ قال: وسمعتُ والدي يقول:

إذا اجتمعَ في الدارِ الحمّامُ والقصر، والبيتُ للخلوة، وبيتُ الضيافة، وخزانةُ الكتب؛ فقد اجتمعتْ فيها المروءة[5]!



(١) الشطر الثاني في اليتيمة: بصونه قدماً وإيثاره.
(٢) في الأصل: بحق. والتصحيح من مصدره.
(٣) يتيمة الدهر ١/١٣٤.
(٤) عين الأدب والسياسة ص ١٣٤.
(٥) المصدر السابق.



الباب التاسع

في الهدية

١٠٠ ـ قال مؤلفهُ رحمهُ الله:

الهديَّةُ سُنَّةُ الرسولِ ﷺ[١]، ورسمُ الملوك، واستمالةُ القلوب، وعمارةُ المروءة، ومفتاحُ المودَّة.

وهي اللطفُ الأكبر، والسحرُ الأعظم[٢]، والمغناطيسُ الجالب، والحاكمُ الغالب[٣].

١٠١ ـ وقال الشيخُ أبو الفضل الميكالي[٤] رحمهُ الله تعالى:

هديَّةُ الإخوانِ بِرٌّ ولطف، وهديَّةُ السلطانِ تحرُّزٌ وشرف.

١٠٢ ـ وكتبَ عبدالله بن طاهر إلى أخيه محمد مع أربعةِ[٥] خواتيمَ أهداها له:

---

(١) من ذلك قوله ﷺ: **«تهادوا تحابوا»** الذي مرَّ في الرقم (٦).

(٢) في المصدر التالي: والبرّ الأعظم.

(٣) معظمه ورد في عين الأدب والسياسة ص **١٣٣**.

(٤) أبو الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي الأمير، من بيت حشمة وإمرة، أهدى المؤلف كتابه «يتيمة الدهر» وغيره إلى خزانته، وأورد أخباراً عديدة عنه فيه، توفي يوم النحر سنة **٤٣٦** هـ. تاريخ الإسلام **٩/٥٥٦**.

(٥) في الأصل «أربع» هنا وفيما يأتي.

قد بعثتُ إلى الأميرِ بأربعةِ خواتيم: أحدها ياقوتٌ للمروءة، والثاني فيروزجٌ[1] للفأل، والثالثُ عقيقٌ للسنَّة[2]، والرابعُ حديدٌ صينيٌّ للحرز[3].

١٠٣ ـ وكتب أبو سعيد الودادي إلى صديقٍ له:

قد بعثتُ إلى سيدي من آلاتِ المروءةِ الشموعَ التي تجعلُ الليلَ نهاراً، والنَّدَّ الذي إذا أُدخلَ النارَ حكى رائحةَ الجنَّة، وماءَ الوردِ الذي هو غذاءُ الروح، وكتابَ أدبٍ وهو الجليسُ الأفضلُ والأنيسُ الأكبر، فإن رأى أن يسرَّني بقبولها، ويوقِّعَ لي بمحصولها.

١٠٤ ـ قال مؤلفهُ رحمه الله: ولي كتابٌ في الإهداء والاستهداءِ شافٍ كافٍ في نيلِ ذلك فليُراجع، وما المرادُ منها إلا ما يشهدُ بالمروءةِ فيها.



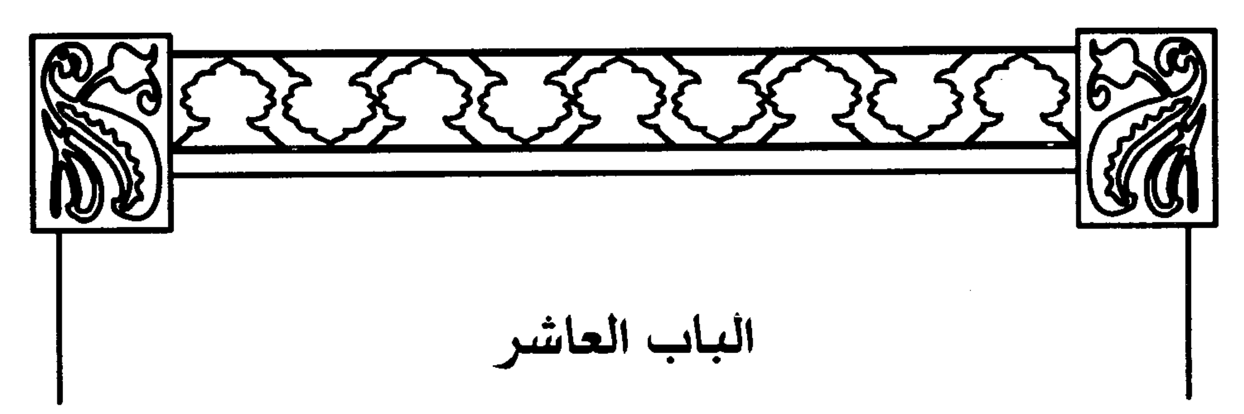
---

(١) الفيروزج حجر كريم غير شفاف، معروف بلونه الأزرق كلون السماء، أو أميل إلى الخضرة، يُتحلَّى به. المعجم الوسيط.

(٢) حديث **«تختموا بالعقيق فإنه مبارك»** رواه البيهقي في شعب الإيمان (**٦٣٥٧**)، وابن عدي في الكامل ١٤٦/٧، ١٤٧ وغيرهما، وقال: الألباني: موضوع. ضعيف الجامع الصغير (**٢٤١٠**). وبلفظ **«تختموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر»** أيضاً موضوع. ضعيف الجامع (**٢٤١١**)...

قال ابن الأثير: وفي حديث خاتم النبي ﷺ فيه **«فَصٌّ حبشي»** [الذي رواه مسلم] يحتمل أنه أراد من الجزع أو العقيق، لأن معدنهما اليمن أو الحبشة أو نوعاً آخر ينسب إليها. النهاية في غريب الحديث ٣٣٠/١.

(٣) ينظر المستطرف ٦٣/٢.



الباب العاشر

في المال وما يُذكر معه من المروءة

١٠٥ ـ يُقال: مالُ المرءِ عُدَّته، وعُمدته، وجماله، ومروءته، وذخيرته.

١٠٦ ـ وقال بعضُ السلف: المروءةُ إصلاحُ المال، وحسنُ التدبير، وتعهُّدُ الضيف[١]، والإفضالُ على الإخوان[٢].

١٠٧ ـ وكان محمد بن سليمان[٣] يستعملُ بالبصرةِ كلَّ يوم ثلاثةَ آلافِ دينار، ويُجري[٤] على ثلاثةِ آلافِ مولى، وكان دعاؤه: اللهمَّ وسِّعْ عليَّ فإنه لا يسعني إلا الكثير، وارزقني مروءةً ومجداً، فلا مروءةَ إلا بفعال، ولا مجدَ إلا بمال[٥].

---

(١) في المصدر التالي: وتعاهد الصنيعة.

(٢) عين الأدب والسياسة ص ٣٤. وهو ليس قول واحد من السلف، بل هو عدة تعريفات للمروءة جمعها المؤلف، وقد ساقها وغيرها ابن حبان البستي في روضة العقلاء ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣.

(٣) محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس، من رجالات قريش وشجعانهم، جمع له المنصور بين البصرة والكوفة، وزوَّجه المهدي ابنته العباسة، وكان له من الأموال شيء كثير، وكان دخله كل يوم مائة ألف. ت ١٧٣ هـ. الكامل لابن الأثير ٨٦/٥ ـ ٨٧، البداية والنهاية ٥٦٨/١٣، تاريخ الإسلام ٧٣٦/٤.

(٤) في الأصل «يجزي».

(٥) ورد مثل هذا القول عن الصحابي الجليل سعد بن عبادة أيضاً، ينظر «مراقي الجنان» رقم ٣٩٤ وهامشه.

١٠٨ ـ وقال ابن المعتزِّ من فصولهِ القصار:

المروءةُ أن تكسبَ ببعضِ مالِكَ المحمدة، وتصونَ ببعضهِ عرضكَ عن المسألة.

١٠٩ ـ وقال بعضهم: من أقامَ مروءتَهُ بغيرِ مالٍ كثير، فللَّهِ دَرُّه.

١١٠ ـ وقال سَلْمُ بنُ عمرو[١] في يحيى بن خالد البرمكي:

وفتى خلا من مالهِ ... ومن المروءةِ غيرُ خالِ
أعطاكَ قبلَ سؤالهِ ... وكفاكَ مكروهَ السؤالِ[٢]

١١١ ـ وقال سهل بن هارون[٣]:

رزقتُ لُبّاً[٤] ولم أُرزَقْ مروءتَهُ ... وما المروءةُ إلا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مساماةً[٥] يُقاعدني ... عمّا ينوِّهُ باسمي رقَّةُ الحالِ[٦]

---

(١) في الأصل «سلام بن عمرو»، والصحيح ما أثبت، وهو سلم بن عمرو بن حماد، مولى تميم بن مرة، شاعر مطبوع خليع، من موالي أهل البصرة في العصر العباسي، كان منقطعاً إلى البرامكة، لقب بـ «سلام الخاسر» لأن أباه خلف له مالاً فأنفقه على الأدب، فقال له بعض أهله: إنك لخاسر الصفقة، فلقب بذلك. ت ١٨٦ هـ. معجم الأدباء ٣٨٨/٣.

(٢) المصدر السابق ٣٩١/٣، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٣٦٨/١، والبيان والتبيين ٥٤٩/١.

(٣) هكذا في الأصل، والصحيح أن يقال: وأنشد سهل بن هارون، فالبيتان للخليل بن أحمد الفراهيدي. ينظر: ديوان المتنبي ٢٢/٢.
وسهل بن هارون الدستميساني انتقل إلى البصرة، واتصل بخدمة المأمون، وتولى خزانة الحكمة له. وكان شاعراف أديباً فارسي الأصل، شعوبي المذهب، نهاية في البخل. الوافي بالوفيات ١٨/١٦.

(٤) في الأصل «مالاً» وهو خطأ.

(٥) في الأصل «مواساة» والمساماة من السمو، يعني معالي الأمور.

(٦) البيان والتبيين ٤٨٨/١، بهجة المجالسة ٦٤٧/٢، المجالسة وجواهر العلم رقم (١٥٩٦ م).

١١٢ ـ وقال غيرهُ ممن نسيتُ اسمه[١]:

ولو قد سئلتُ فضولَ الحياةِ ... لجدتُ ولم ترني باخلا[٢]
فإن المروءةَ لا تُستطاعُ ... إذا لم يكنْ مالُها فاضلا[٣]

١١٣ ـ وقال آخر:

احتلْ لنفسِكَ أيُّها المحتالُ ... فمن المروءةِ أنْ يُرىٰ لك مالُ
إني رأيتُ الموسرينَ أعزَّةً ... والمعسرينَ عليهم الإذلالُ[٤]

١١٤ ـ وقال شبيب بن شيبة[٥]:

إذا كنتم تحبُّون المروءةَ والفتوَّةَ فأصلحوا أموالكم.

١١٥ ـ وكان أُحيحة بن الجُلاح[٦] يقولُ لجيرانهِ وإخوانه:

أصلحوا أموالكم، فإنكم لا تزالونَ من دونِ المروءات ما استغنيتم عن عشيرتكم.

أعزَّكَ قومٌ حين صرتَ إلى الغنى ... ولا عجبٌ؛ إنَّ الغنيَّ عزيزُ

---

(١) هو الأحنف بن قيس رحمه الله كما في المصادر من الهامش التالي، وزعم الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين، كما أفاده الحصري في زهر الآداب وثمر الألباب.

(٢) هكذا ساقه المؤلف، لعله من حفظه، وصحته:

فلو مُدَّ سَرْوِي بمالٍ كثير ... لجُدْتُ وكنتُ له باذلا

والسَّرْو: المروءة والشرف.

(٣) المروءة لابن المرزبان رقم ١٢٢، أدب الدنيا والدين ص ٣١٨، محاضرات الأدباء ٥٨٩/١، البيان والتبيين ٣٥٧/١، ٤٨٨.

(٤) البيت الأول في روضة العقلاء ص ٢٣٣.

(٥) شبيب بن شيبة المنقري البصري، كان فصيحاً بليغاً أخبارياً ذا مكانة، يدخل على الأمراء. روى عن الحسن وابن سيرين، ت ١٦٢ هـ. تهذيب الكمال ٣٦٢/٢، العبر ١٨٤/١.

(٦) في الأصل «أجنحة بن الجلاح»! وهو أبو عمرو أحيحة بن الجلاح، سيد الأوس في الجاهلية، كانت أم عبد المطلب بن هاشم تحته، وكان كثير المال شحيحاً، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى يحيط بأموالهم. خزانة الأدب ٣٥٧/٣.

١١٦ ـ وقال غيره:

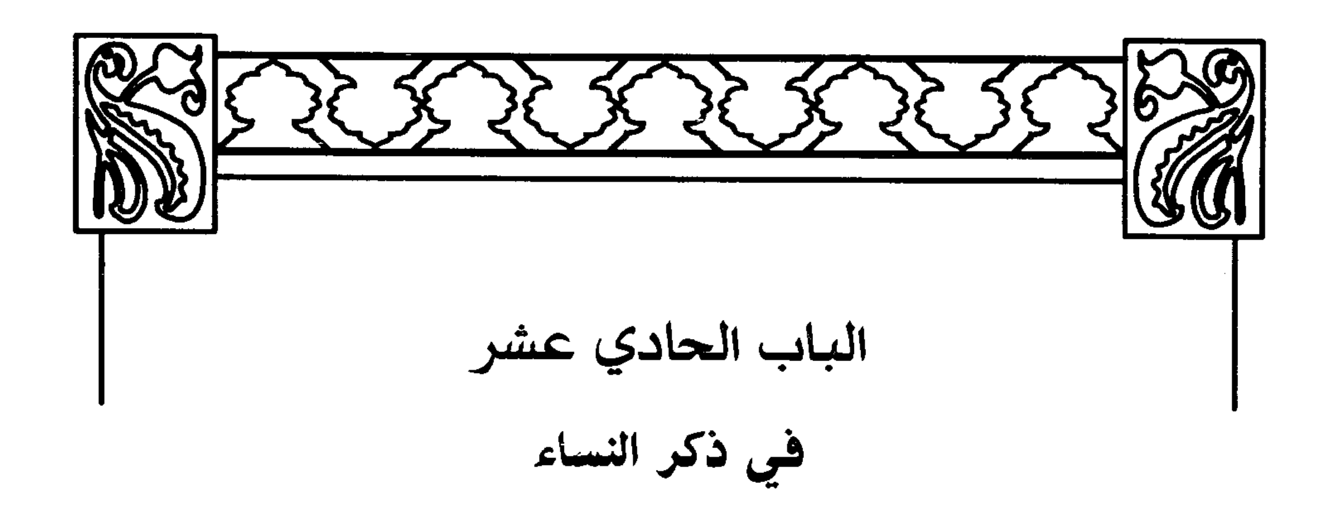
المروءةُ والمالُ رضيعا لبان، وشريكا عِنان، وفَرَسا رِهان.

١١٧ ـ وقال مؤلفهُ رحمهُ الله:

من المروءةِ أن تكونَ بمالكَ متبرِّعاً، وعن مالِ غيرِكَ متورِّعاً[١].

---

(١) نقلها منه صاحب عين الأدب والسياسة ص ١٣٤.



الباب الحادي عشر

في ذكر النساء

١١٨ ـ قال مسلمة بن عبدالملك[١]:

ما أعانَ على مروءةِ المرءِ كالمرأةِ الصالحة، وهي إحدى الحسنتين.

١١٩ ـ وشكا صديقٌ لابن عائشةَ[٢] القرشيِّ خُلُق امرأتِهِ فقال: عجِّلْ طلاقها، فإنها تهرمُ المرءَ قبلَ هرمه؛ وتُذهِبُ بمروءتِهِ وكرمه[٣].

١٢٠ ـ وكان بعضُ المشايخِ يقول:

من أرادَ المروءة وحِفْظَ خزانته، فالحُرَّة، ومن أراد اللهوَ والسرورَ فالسُّرِّيَّة.

١٢١ ـ وقال مؤلفه رحمه الله من كلامٍ له:

---

(١) مسلمة بن عبدالملك أمير أموي لقب بالجرادة الصفراء، كان موصوفاً بالشجاعةِ والإقدام والرأي والدهاء، ولي أرمينية وأذربيجان غير مرة وإمرة العراقَيْن وغزا القسطنطينية في خلافة أخيه سليمان. ت ١٢١ هـ. العبر ١/١١٨.

(٢) هو عبيدالله بن محمد بن حفص البصري، أبو عبدالرحمن، المعروف بالعائشي وبابن عائشة، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيدالله، قدم بغداد، وكان عنده رقائق وفصاحة وحسن خلق وسخاء وسمع علماً كثيراً، يتحبب إلى الناس ويحب المحامد. ت ٢٢٨ هـ. تهذيب الكمال ١٩/١٤٧، تقريب التهذيب ٣٧٤.

(٣) وفي محاضرات الأدباء ٢/٢٤٠: قال رجل لأبيه: تزوجت امرأة سيئة الخلق، فقال: عجل طلاقها، فإنها تهرمك قبل الهرم، وتذهب عنك بجماع الكرم.

بعضُ النساءِ للمروءةِ والمعونة، وبعضهنَّ للرعونةِ والأخلاقِ المعلونة!

١٢٢ ـ وقال أيضاً:

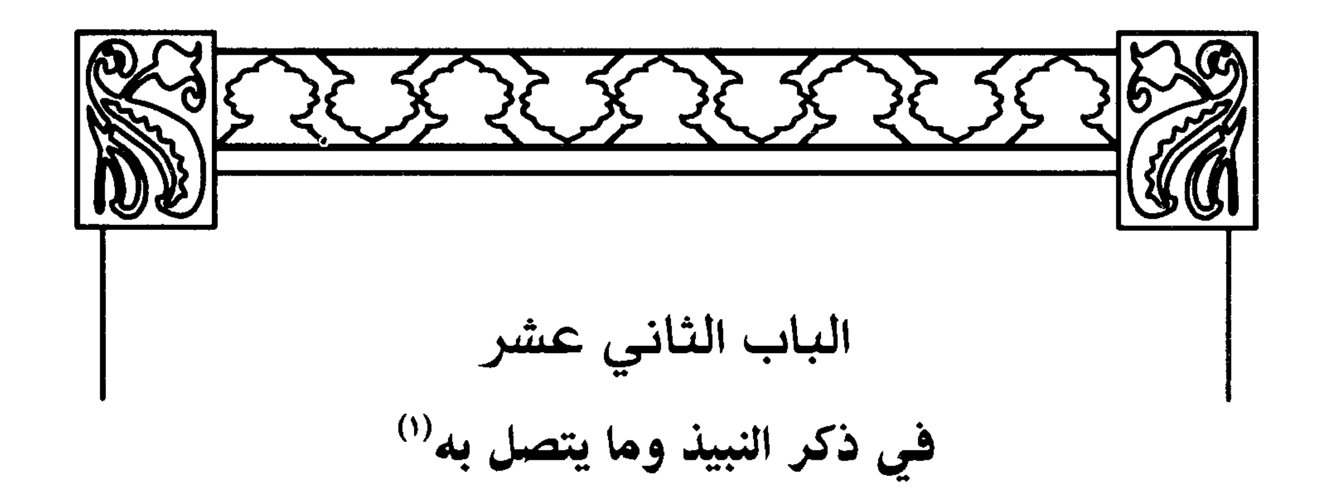
ودونك بيتاً قد تحلَّتْ به النُّهى   كما يتحلَّىٰ معصمٌ بسوارهِ
إذا لم يكنْ في منزلِ المرءِ حُرَّةٌ   تَدبِّرهُ ضاعتْ مصالحُ دارهِ[١]

١٢٣ ـ وكان أنو شروان يقول:

من لا امرأةَ له فلا مروءةَ له، ومن لا ولدَ له فلا سرورَ له، ومن ليستْ له هاتانِ فلا همَّ له.



(١) ورد البيت الأخير في «عين الأدب والسياسة» ص ١٣٤، وشطره الأخير فيه: مدبرة ضاعت مروءة داره، وفي كشف الخفاء (٣٣٥/١): تدبره ضاعت عليه مصالحهْ.



الباب الثاني عشر

في ذكر النبيذ وما يتصل به[1]

١٢٤ ـ قال مؤلفه رحمه الله تعالى:

النبيذ صابون الهموم، وترياقُ الغموم، وسرُّ السرور، وناظمُ الأدب،

---

(١) قد يحسن الظن بالمؤلف هنا إذا قصد الحلال من النبيذ، ففيه ما هو حلال كما يأتي، ولكنه يفهم من ثنايا ما أورد من أخبار دخول الحرام فيه أيضاً، فلا نوافق المؤلف فيه، بل ننبذه تماماً، ولا مروءة لمن عصى الله سبحانه، ولولا أمانة العلم لما أثبت هذا الباب، فإثمه على مؤلفه، عفا الله عنه. وللأسف فإن كتب الأدب في تاريخ الإسلام لا تكاد تخلو من هذا، بل وأكثر مما فيه تصريح بالخمر وشربه. ويلحق هذا بأدب الجريمة، لأنه يؤدي إليها.
ويظهر حكمه من خلال ما شرحه الإمام النووي من الحديث الذي رواه مسلم: «كان رسول الله ﷺ يُنْتَبَذُ له أول الليل، فيشربه إذا أصبح يومَهُ ذلك، والليلةَ التي تجيء، والغدَ، والليلةَ الأخرى والغدَ إلى العصر، فإن بقي شيءٌ سقاهُ الخادمَ أو أمر به فصُبَّ».
قال: والأحاديث الباقية بمعناه. في هذه الأحاديث دلالة على جوازِ الانتباذ، وجواز شرب النبيذ مادام حلواً لم يتغير ولم يُغْلَ، وهذا جائز بإجماع الأمة. وأما سقيه الخادم بعد الثلاث وصبه، فلأنه لا يؤمن بعد الثلاث تغيره، وكان النبي ﷺ يتنزّه عنه بعد الثلاث.
وقوله: «سقاهُ الخادم أو صبَّه» معناه: تارة يسقيه الخادم وتارة يصبه، وذلك الاختلاف لاختلاف حال النبيذ، فإن كان لم يظهر فيه تغيُّر ونحوه من مبادىء الإسكار سقاه الخادم ولا يريقه، لأنه مال تحرم إضاعته، ويترك شربه تنزُّها، وإن كان قد ظهر فيه شيء من مبادىء الإسكار والتغيّر أراقه، لأنه إذا أسكر صار حراماً ونجساً، فيُراق، ولا يسقيه الخادم؛ لأن المسكر لا يجوز سقيه الخادم، كما لا يجوز شربه.
وأما شربه ﷺ قبل الثلاث فكان حيث لا تغير، ولا مبادىء تغير، ولا شكَّ أصلاً. والله أعلم. صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/١٧٣.

وكيمياء الطرب، وجامعُ شملِ المروءة، وناظمُ عقدِ الفتوَّة، ومفتاحُ النجاح، وروحُ الأرواح، ولحامُ الكرام، وخدعةُ الأيام، وهاضمُ الطعام، وحافظُ قوَّةِ المنام، والمبطئ بالهرم. ومن محاسن النظم:

وإن طـبـيـخـهـا أمـانٌ مـن عـذابِ الـنـارِ[1]

١٢٥ ـ وكان الفضل بن مروان يقول:

تركُ الشربِ في ليالي الجمعِ من التحرُّز.

١٢٦ ـ وكان العباس بن الفضل بن الربيع يقول:

ليس من المروءةِ الإخلالُ بالشربِ يوم الدجنِ والمطر. ويُنشدُ ويردِّد:

قد سقتنا السماءُ ماءَ الغيومِ　　　فاسقنا يا غلامُ ماءَ الكرومِ[2]

١٢٧ ـ وقال مؤلفه في صباهُ رحمهُ الله:

اسمعْ فديتُكَ حلفةً مبرورةً　　　من خِلِّكَ المشغوفِ بالتصنيفِ
خنتَ المروءةَ إن تركتَ الشربَ يو　　　مَ الدجنِ من كاسٍ وريقِ أليفِ[3]

❋ ❋ ❋

فصل من وصيّة أبي الطيب الحرّاني

١٢٨ ـ كان أبو الطيب من رياحين الأُنس وشياطين الإنس[4]، ومن يُخرجُ في العشرةِ من القشرة.

---

(١) بل هو إلى العذاب أقرب، إن غلي.

(٢) عدَّ المؤلف هذا من شعره في يتيمة الدهر ٥/٢٦٠.

(٣) إن من عصى فقد خان الله ورسوله، ومن خان الله ورسوله فكيف لا يخون المروءة!!

(٤) وكيف يكون الشيطان ريحاناً؟

وله في الممالحةِ بالطعام، والمراضعةِ بالمدام، لطائفُ وظرائف.

فمما يتعلَّقُ منها بالمروءةِ قولهُ لابنهِ من كلامٍ طويل:

يا بنيّ، إنكَ جارٍ في ظرفي، متخلّقٌ بخُلقي، وأنا أعلِّمُكَ المروءةَ كما أعلِّمُكَ الفتوَّة، في منادمةِ السادةِ الأشراف، التي هي رأسُ مالِك، وعُدَّةُ حالك.

فإذا اطَّلعتَ في مجلسك، وأخذتَ في شأنك، فلا تُطلْ حبسَ الكأسِ في يدك، ولا تُكثرْ من فضلِ زجاجتك.

واعلمْ أن المروءةَ غضُّ طرفِكَ عن الساقي، واتّخاذُ أجفانِكَ حجاباً بينكَ وبينه.

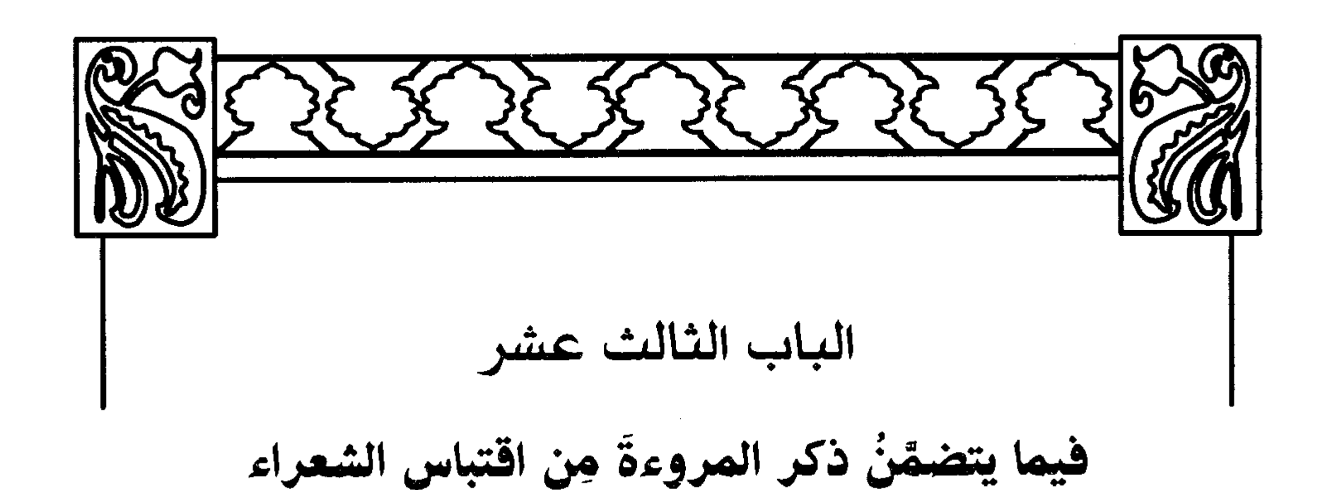
وإيَّاكَ إيَّاكَ ممّا أقدمَ عليه البحتري بقوله:

أمدُّ كفيٌ لأخذِ الكأسِ من رشأ وحاجتي كلُّها في حاملِ الكاسِ

ويجبُ عليك إذا ناولَكَ الكأسَ وهو آخذٌ بأسفلها أن تأخذَ بأعلاها، وإذا أخذَ بأعلاها أن تأخذَ بأسفلها، لئلا تمسَّ بيدِكَ يدَهُ، ولو أدنى.

وعليكَ بالقصارِ من الأحاديثِ والأشعار، والغُرَرِ من النُكَت، مقتدياً بابنِ المعتزِّ في قوله:

بين أقداحهم حديثٌ قصيرُ هو سحرٌ وما سواهُ كلامُ



الباب الثالث عشر

فيما يتضمَّنُ ذكر المروءةَ مِن اقتباس الشعراء

١٢٩ ـ أنشدني أبو القاسم الطهماني قال: أنشدني أبو نصر العقيلي قال: أنشدني أبو بكر الإسماعيلي:

وإذا جلستَ وكان مثلُكَ قائماً ... فمن المروءةِ أن تقومَ وإن أبىٰ
وإذا اتَّكأتَ وكان مثلُكَ جالساً ... فمن المروءةِ أن تُنحّي المتكا
وإذا ركبتَ وكان دونكَ ماشياً ... فمن المروءةِ أنْ مشيتَ كما مشَى[1]

١٣٠ ـ وأنشد أبو تمام في كتاب الحماسةِ معنى قولِ بعضِ الحكماء: المروءةُ أن لا تبخل، ولا تَسُبَّ ولا تُسَبَّ[2]. يُشِيرُ بذلك إلى قولِ الشاعر:

يا أيُّها المتمنّي أن يكونَ فتى ... مثلَ ابنِ زيدٍ، لقد خلّى لك السُّبُلا
أُعدُدْ ثلاثَ خلالٍ قد عُدِدْنَ له ... هل سَبَّ من أحدٍ أو سُبَّ أو بَخُلا[3]

١٣١ ـ ومن أبياتِ مؤلِّفِ هذا الكتابِ رحمه الله:

---

(١) عين الأدب والسياسة ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٤.

(٣) من قول عروة بن الزبير، كما في محاضرات الأدباء ١/ ٣٨٠، وصدر البيت الثاني فيه: أعدد نظائر أخلاق عددن له.
ووردَ البيت الأول في ديوان الحماسة ٢/ ٢٧٢، وفيه «ابن ليلى» بدل «ابن زيد».

إذا المرءُ أعيَتْه المروءةُ ناشئاً فمطلبُها كهلاً عليه ثقيلُ[1]

١٣٢ ـ ومن أحاسنِ البحتري المشهورةَ قولهُ في المدحِ في المروءةِ من قصيدةٍ له:

وشبيبةٍ فيها النُّهى فإذا بدتْ لذوي التوسُّمِ فهو شيبٌ أسودُ
ومروءةٍ جمعَ التُّقىٰ أطرافها وندًى أحاطَ بجانبيهِ السؤددُ[2]

١٣٣ ـ وقال مؤلفهُ رحمهُ الله تعالى في بعضِ الممدوحين:

أقولُ إذ سألوني عن مروءةِ مَنْ ما لا يُقاسُ بأندادٍ وأكْفاءِ
محمدٌ لمروءاتِ الأنامِ غدا كالزندِ للنارِ والينبوعِ للماءِ

١٣٤ ـ وقال آخر:

إذا جارَ الزمانُ[3] على كريم من الكرما أخلَّ من المروَّهْ
وليس عليه في الإخلالِ عيبٌ بأسبابِ المروءةِ والفتوَّهْ

١٣٥ ـ وكان خلف الأحمر[4] يقول:

المروءةُ أن تفيضَ عن غضيض، ثم يُنشدُ قول زهير ويستحسنه:

على مكثريهم حقُّ مَنْ يعتريهم وعند المقلّينَ السماحةُ والبذلُ[5]

---

(١) هكذا نسبه المؤلف إلى نفسه! وهو من قول المعلوط السعدي، وفيه «شديد» بدل «ثقيل». ينظر جمهرة الأمثال ٢٨٠/٢. وفي ديوان الحماسة ١٨/٢ أنه لرجل من بني قريع، بالقافية الصحيحة.

(٢) يتيمة الدهر ٣٠٣/٥ (البيت الأول)، ديوان المعاني ٣٠/١، وفيه «وفتوة» بدل «ومروءة».

(٣) الزمان لا يجوز... إنما الناس...

(٤) خلف الأحرم يكنى أبا محرز، شاعر، صاحب البراعة في الآداب، راوية، علاّمة. ت نحو ١٨٠ هـ. الوافي بالوفيات ٣٥٣/١٣.

(٥) كتاب الصناعتين ١٠٢/١، معجم الأدباء ٢٨٢/١.

١٣٦ ـ ولمّا مدحَ أبو العميثل[١] عبدَالله بن طاهر بقوله:

يا من يؤمِّلُ أن تكونَ خصالهُ كخصالِ عبدالله أنصتْ واسمع
اصدقْ وعفَّ وجُدْ وأَنصفْ واحتملْ واصفحْ وكفَّ ودارِ واحلمْ واشجعِ[٢]

قال له عبدالله: قد جمعتَ تفاريقَ المروءةِ في هذا البيتِ وإن لم تسمِّها. ووقَّعَ له بصلة.

١٣٧ ـ قال أبو سعيد الرستمي[٣] في العيادة[٤]:

رأيتُك في المروءةِ خيرَ آلِ وأنتَ أخو المكارمِ والعوالي
وقد مسَّتْكَ عودةُ أريحيٍّ فأبشرْ بانتقالِ الاعتقالِ

١٣٨ ـ ومن أحسنِ ما مُدِحَ به ابن المعتزِّ قولُ منصور بن إسماعيل الفقيه[٥]، ويُروىٰ لغيره:

ما واحدٌ من واحدٍ أولى بمجدٍ أو مروَّهْ
ممَّنْ أبوهُ وجدُّهُ بين الخلافةِ والنبوَّهْ

---

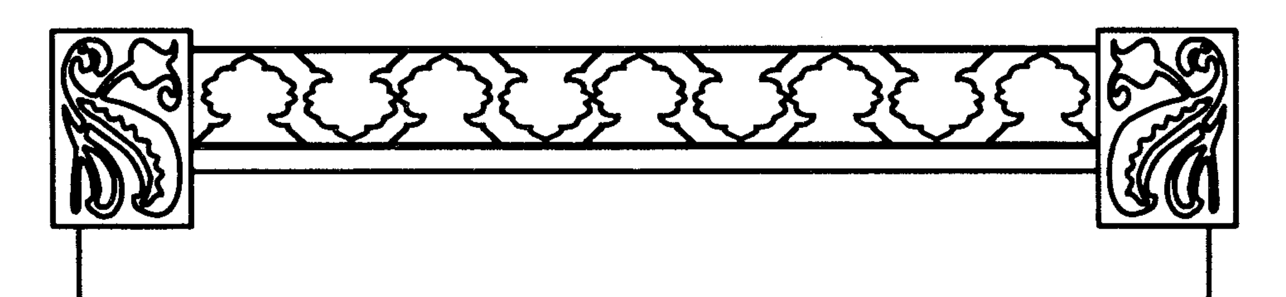
(١) هو عبدالله بن خُليد الكاتب، المكنى بأبي العميثل. شاعر مجيد وكاتب بليغ ولغوي بارع، كتب الإنشاء للأمير عبدالله بن طاهر، وله فيه مدائح. ت ٢٤٠ هـ. تاريخ الإسلام ٨٤٨/٥.

(٢) محاضرات الأدباء ٣٨٠/١. والبيت الثاني فيه هكذا:
اصدق وعف وبرّ وانصر واحتمل واحلم وكفّ ودار واصبر واشجع

(٣) هو محمد بن محمد بن الحسن بن رستم، من أصبهان، قال الشعر في الرتبة العليا، وهو من شعراء العصر في الطبقة الكبرى، قاله المؤلف في كتابه يتيمة الدهر ٣٥٥/٣، وساق شيئاً من أخباره، وأنه أقل الشعر بعد أن شاب.

(٤) في الأصل «في العبادة»! والمقصود عيادة المريض.

(٥) منصور بن إسماعيل التميمي، فقيه مصر، الشاعر الضرير. له شعر سائر ومصنفات في الفقه، أصله من رأس العين، كان مطلعاً على كل فنون العلم، لم يكن في زمانه مثله، جندياً، يتشيع، ثم عمي، وكان شاعراً خبيث الهجو. ت ٣٠٦ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٤.



الباب الرابع عشر

في الإيضاح عمّا يُكره ذكره ويقبح تسميته بما يؤدي معناه ويستهجن لفظه

١٣٩ ـ يقولونَ للأعمى: المحجوب.

وللأعور: الممتع.

وللكوسج[1]: الخفيفُ العارضين.

وللقوّاد: جامعُ شملِ المحبِّين.

وللسؤَّال: الزوّار.

وللصفع: المزاحُ باليد.

وللهزيمة: الانحياز.

وللرشوة: المصانعة.

وللمصادرة: الموافقة.

وللتقييد: الاستيثاق.

وللعزل: الصرف، أو الاستراحة، أو إغمادُ سيفِ الكفاية.

وللفقر: خفَّةُ الحال.

(١) الكوسج هو الذي لا شعر على عارضيه.

وللكذب: التزيُّد.

ولشربِ النبيذ: النشاطُ للأُنس، أو استجلابُ السرور.

وللسكر: طيب النفس.

وللختان: التطهير.

وللغلامِ المفسد: العَلَق[1]، أو المطبوع، أو المساعد.

وللحيض: تركُ الصلاة.

وللحاجةِ إلى دخولِ الميضأة: تجديدُ الطهارة.

وللنكاح: الخلوة.

وللحرم: مَنْ وراءَ الستر.

وللأمّ الكبيرة، وللأختِ الشقيقةِ أو الكريمة، والبنتِ في بيت الزوج: الوديعة.

وللمرض: العارض، أو الفترة، أو العودة.

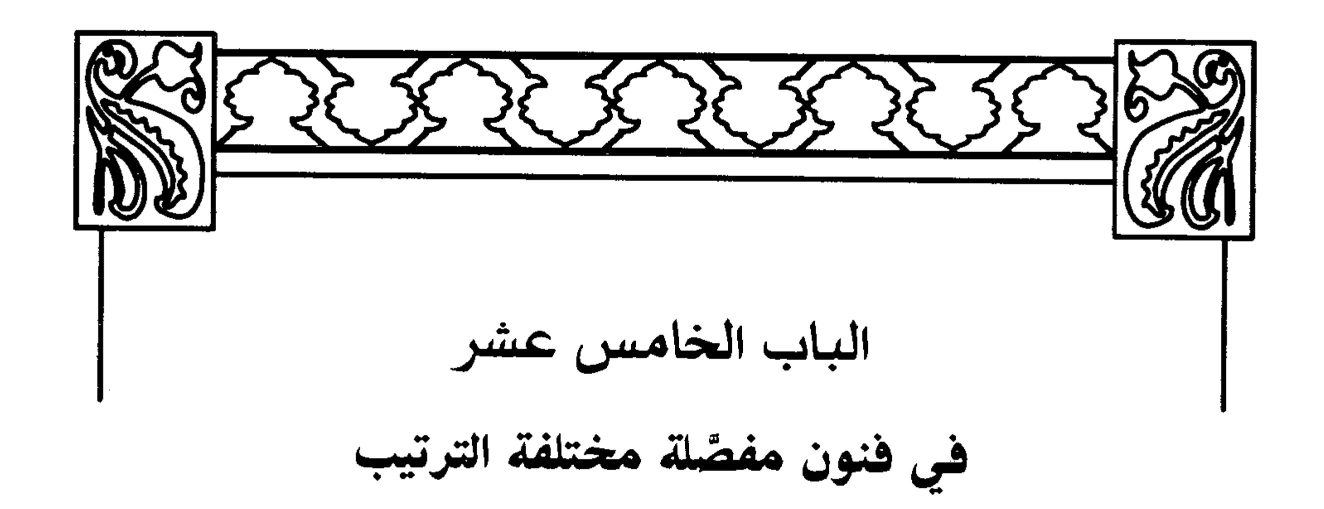
وللموت: الانتقالُ إلى جوارِ الله، أو الانقلابُ إلى عفوه، أو صارَ إلى ربِّه.

وقد عقدتُ للكنايةِ كتاباً مستقلاً سمَّيتهُ «الكناية»[2] فيه أشياءُ بديعةٌ في هذا النمط، فليُراجع.



(١) العلق: الطين الذي يعلق باليد، ودود أسود يمتص الدم يكون في الماء الآسن إذا شربته الدابة علق بحلقها...

(٢) كتابه «الكناية والتعريض» صدر بتحقيق عائشة حسن فريد. وصدر أيضاً بعنوان «النهاية في التعريض والكناية».



الباب الخامس عشر

في فنون مفصّلة مختلفة الترتيب

منه

فصل في المسائل والجوابات

١٤٠ ـ قال الأصمعي: سُئلَ بعضُ الحكماءِ عن المروءةِ فقال:

بابٌ مفتوح، وسترٌ مرفوع، وطعامٌ موضوع، ونائلٌ مبذول، وكلامٌ مقبول.

١٤١ ـ وسُئلَ محمد بن حرب الهلالي عنها فقال:

إصلاحُ المال، والإخبارُ بما تقبلُهُ العقول.

١٤٢ ـ وسُئلَ مسعرُ بن كِدام[١] عنها فقال:

التفقُّهُ في الدِّين، وبرُّ الوالدين، ولزومُ المسجدِ حتى تطلعَ الشمس[٢].

١٤٣ ـ وسُئلَ بعضهم عنها فقال قولَ أبي تمام:

وإنَّ أولىٰ البرايا أن تواسيَهُ ... لدى السرورِ لمن واساكَ في الحزنِ

---

(١) مسعر بن كدام بن ظهير، أبو سلمة، أسند عن أعلام من التابعين، قال سفيان الثوري: لم يكن في زماننا مثله. توفي بالكوفة سنة ١٥٢. صفة الصفوة ١٢٩/٣، ١٨٨.

(٢) عين الأدب والسياسة ص ١٣٥.

إن الكرامَ إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم في المنزلِ الخشنِ[١]

١٤٤ ـ وسُئلَ بعضُ مشايخِ نيسابورَ عن أحسنِ ما يراهُ من مروءةِ الكُبَراءِ الدالَّةِ على الشأنِ فقال:

الاستصباحُ بالشموع، واتِّخاذُ الحمّام في الدُّور، واستخدامُ الخصيان، واستعمالُ أهلِ الذمَّة، والاستكثار من الحطبِ في الشتاء، والثلجِ في الصيف.

❋ ❋ ❋

فصل في مروءةِ السفر والحجّ

١٤٥ ـ كان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول:

من مروءةِ الرجلِ أن يطيِّبَ زادَهُ في السفر، ويتزوَّدَ راويةَ نبيذ[٢].

١٤٦ ـ وحجَّ محمد بن يحيى بن خالد فاستصحبَ ماءَ دجلةَ معه في القوارير، والثلجَ في الصناديق. فذكرَ وكيلهُ أن الشربةَ تقومُ عليه بثمانينَ درهماً!

١٤٧ ـ وحكى عليُّ بن الحسين الإسكافي قال:

حجَّتْ زبيدةُ[٣] سنة، وحجَّ في تلك السنةِ أحمد ابن فلان، وفلانُ

---

(١) هكذا ورد في بعض كتب الأدب، ولكن منسوباً إلى دعبل بن علي، وورد في مصادر أخرى غير منسوب، وفي غيرها أن البحتري تصرف فيها، ولعل الصحيح في لفظ البيت الأول كما في معجم الشعراء ١٢٣/١:

أولى البرية طراً أن تواسيه   عند السرور الذي واساك في الحزن

(٢) الرزاوية: المستقى.

(٣) زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية، الستُّ المحجَّبة، والدة الأمين محمد بن الرشيد، كانت عظيمة الجاه والمال، لها آثار حميدة في طريق الحج، ت ٢١٦ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٤١/١٠.

ابنُ فلان، وأنا. فعرفتْ مواضعنا، فكان يأتي لكلِّ واحدٍ في كلِّ نُزلٍ طبقُ خيزران، عليه منديلٌ مصري، وفي الطبقِ أنواع الحلوى والفواكه، حتى الفستق الرطب، ولا يرجعُ لا الأطباقُ ولا المناديل، مدَّةَ سفرنا!

١٤٨ ـ ومن الشائع المستفيض أن جميلة بنت ناصر الدولة بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن حمدان والي الموصل[١]، حجَّتْ سنةَ ستٍّ وستِّين وثلاثمائة، فأقامتْ من المروءةِ ما لا يُحكىٰ مثلهُ عن مَلِكٍ ولا مَلِكَة، وأفردتْ للمنقطعين والرجالةِ ثلاثمائةِ جمل، ونثرتْ للكعبةِ عشرةَ آلافِ دِينار، وأعتقتْ ثلاثمائةِ عبدٍ وثلاثمائةِ أمة، وسقتْ جميعَ أهلِ الموسم السويق بالسكر، وأعطتْ للمجاورينَ عشرةَ آلافِ دينارٍ وألفَ ثوب، وكانَ معها أربعمائة جمل للجارياتِ والكنائس، لا يُدرى في أيَّتها هي، فصارتْ هذه تاريخاً مشهوراً لها، وهي تضربُ المثل بها[٢].

❋ ❋ ❋

فصل في التوقيعات

١٤٩ ـ رُفع إلى المنصورِ في كبرهِ توقيعات محمد بن سليمان بن علي والي البصرة، فوقَّع: أعظمُ الناسِ مروءةً أكثرهم مؤونة.

١٥٠ ـ ووقَّعَ الرشيدُ إلى أهل السَّواد ـ وقد رفعوا إليه أن الجرادَ أتى على غلاّتهم ـ: ليس من المروءةِ أن تكونوا بضيافةِ الجرادِ أولى منا، وقد أمرنا بأن يُحَطَّ عنكم نصفُ خَراجكم.

---

(١) وهي أخت أبي تغلب. كانت كريمة، نشرت من مكارم الأخلاق ما لا يوصف بعضه من بنات الخلفاء والملوك. استولى عضد الدولة على أموالها بعد أن خطبها فرفضت الزواج منه، فحقد عليها وأهانها حتى عراها وهتكها، وانتهى بها الأمر أن أغرقت نفسها في نهر دجلة. ثمار القلوب ٢٠٥/١، البداية والنهاية ٣٧٦/١٥.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٢٠٥/١، المستطرف ٣٠/١.

١٥١ ـ ووقعَ إلى الرستمي: ليس من المروءةِ أن تكون أوانيكَ من الذهبِ والفضَّةِ وجارُكَ طاوٍ وغريمك عارٍ.

❊ ❊ ❊

فصل في المروءة والكرم

١٥٢ ـ قال إبراهيم السندي:

قلتُ في أيامِ ولايتي للكوفةِ لرجلٍ من وجوهها، كان لا يجفُّ لَبِده[١] ولا يستريحُ، ولا يجفُّ قلمه، ولا تسكُنُ حركتهُ في طلبِ حوائجِ الناسِ وإدخالِ المرافقِ على الضعفاء، وكان وجيهاً ذا مروءةٍ وفصاحة:

خبرْني عن الشيءِ الذي هوَّنَ عليكَ هذا النَّصَب، وقوَّاكَ على تكاليفِ التعبِ ما هو؟

فقال: قد والله سمعتُ بتغريدِ الأطيارِ على الأشجارِ بالأسحار، وأصواتِ القيانِ الحسانِ في خفقِ أوتارِ العيدان، فما طربتُ قطُّ كطربي في ثناءِ حسنٍ على رجلٍ محسن.

فقلت: لله أنت، فقد حُشِيْتَ مروءةً وكرماً!

١٥٣ ـ وعادَ المعلَّى بن أيوب[٢] صديقاً له، فرأى عليه خَلَّة[٣]، فأسرَّ إلى وكيلِهِ أن يأتيَهُ بخمسمائةِ دينارٍ مختومةٍ في قرطاس.

فذهبَ وجاءَ بها ووضعها بين يديه، فدفعها للعليلِ وقال: هذا دواؤكَ فاستعمله.

---

(١) كناية عما يعتريه من التعب والعرق.

(٢) صاحب الجيش والعرض في أيام المأمون كما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٣٨٦/١، وكاتب المتوكل على الله المتوفى سنة ٢٥٥. كما في تاريخ الإسلام ٢١٦/٦، وكان كريماً جداً.

(٣) في الأصل «وخلة» والخلَّة: الفقر والحاجة.

ونهضَ وفتحها العليلُ فرآها دواءه.

فلمّا زارَهُ الأسبوعَ الثاني قال له: كيف وجدتَ الدواء؟ قال: نافعاً.

قال: هل برئتَ أم تحتاجُ إلى دواءٍ ثان؟

فقال: أحتاجُ إلى دواءٍ ثان.

فدفعَ له كالأوّل، فقال: هذه عادةُ حياةٍ لا عيادة!

١٥٤ ـ ووقفَ الرشيدُ بعرفةَ في غلمانِ الشرابِ وعلى أكتافهم المناديل، فقال: اذهبوا فأنتم أحرار. وأمرَ لهم بمالٍ يجاوزُ الحدَّ.

فقال الفضل بن الربيع[1]: قد بالغَ أميرُ المؤمنينَ في قضاءِ حقوقِ المروءةِ والكرم، والبرِّ والأجر.

وبكى الناسُ وقالوا: هذا عبدُكَ عَتَقَ عبيدَهُ، ونحن عبيدك، فأعتقنا من النار.

١٥٥ ـ وقال مسلم: كانت أمُّ جعفر زبيدةُ كريمةً جدّاً، رُفعتْ إليها رقعةُ حسابِ غَلاّتها، فخرجَ توقيعها: أنا أحمدُ الله على نعمته، وأسألهُ إذْ وسَّعَ علينا أن يجعلنا متوسِّعينَ لحاشيتنا، وأن لا يجعلنا محاسبين.

وكانت أثمانُ الغلاّتِ عشرين ألفَ ألفِ درهم!

❋ ❋ ❋

فصل في لمع وغرر من ذكر المروءةِ شذَّت عن أماكن فجمعتها ها هنا

١٥٦ ـ قال أبو العيناء[2]:

---

(١) وزير أديب حازم، كان من كبار خصوم البرامكة، حاجب الرشيد وابن حاجب المنصور، قام بأعباء خلافة الأمين، ثم اختفى مدة بعد قتل الأمين. ت ٢٠٨ هـ. العبر ٢٧٩/١.

(٢) العلامة الأخباري أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد، الضرير النديم، ولد بالأهوار ونشأ بالبصرة، كان ذا ملح ونوادر، ذكياً. ت ٢٨٣ هـ. سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٣.

لا مروءةَ لكذوب، ولا لمن آثرَ مالَهُ على عرضه[1].

١٥٧ ـ وقال ابن عائشةَ القرشي: لولا أن المروءةَ صعبٌ محملها لما تركَ اللئامُ للكرامِ منها شيئاً[2]!

١٥٨ ـ وكان دعبل هجّاء[3]، هجا الخلفاء واحداً بعد واحد، ووجوهَ كُتّابهم وحاشيتهم، وهجا حتى قبيلَتَه وأخاه، وزوجتَهُ وجاريته.

ولم يكنْ يفلتُ من هجائهِ وطعنهِ أحد: نظماً ونثراً، ممن أحسنَ إليه، فضلاً عمَّن أساء.

وكان يتنقّلُ في البلدانِ خوفاً على نفسه.

وكان مع هذا يرجعُ إلى مروءةٍ وحَسَبٍ وحُسْنِ رياش. فجرى يوماً بين يدي عبدالله بن طاهر حديثه، فغضبَ منه، فقيلَ له: إنه صاحبُ مروءة، فقال: تَبًّا له ولو كان كذلك، كيف تكونُ مروءةٌ لمن يعصي الرحمن، ويُطيعُ الشيطان، ويهجو السلطان[4]؟

١٥٩ ـ وكان عليُّ بن مهدي ـ نديمُ المعتزّ ـ يحملُ على نفسهِ لضيفانه، ويؤثرهم بأطايبِ طعامه، ولا ينالُ منها إلا ما يُغني من جوع، حتى أضرَّ ذلك بجسمه، فقال له أبو المعافى[5] الصوفي: لا تهدمْ جسمكَ بعمارةِ مروءتكَ، وانظرْ لنفسِكَ ثم لضيفانك.

---

(١) الفقرة الأولى وردت من قول الأحنف أيضاً، كما في شعر الإيمان رقم ٦٦٣٤، والبيان والتبيين ٣١٥/١.

(٢) ورد هذا في عين الأدب والسياسة ص ١٣٢ نقلاً من المؤلف، وهو من قول خالد بن صفوان في «المروءة» لابن المرزبان رقم (١١٢)، والظرف والظرفاء، ص ٩١.

(٣) دعبل بن علي الخزاعي، شاعر زمانه، من غلاة الشيعة، له هجو مقذع، خبيث اللسان والنفس، وكان أحدب أصم. رأى الإمام مالكاً. يقال إنه هجا مالك بن طوق فدسَّ عليه من طعنه في قدمه بحربة مسمومة فمات في الغد سنة ٢٤٦ هـ. سير أعلام النبلاء ٥١٩/١١.

(٤) ينظر الأغاني ١٣١/٢٠، معاهد التنصيص ١٩١/٢.

(٥) في الأصل «أبو الحصافي». وهو نفسه الوارد في الفقرة (٥٨).

١٦٠ ـ وكان أبو أحمد العسكريُّ[١] يقول:

الكريمُ أشدَّ ما يكونُ إضافةً أظهرَ ما يكونُ مروءة.

١٦٠م ـ ومن هذا المعنى يقولُ مؤلفه:

بـي فـاقـةٌ غـطَّـيـتُـهـا بـتـجـمُّـلٍ ... وتـحـمُّـلٍ وتـخـمُّـلٍ وتـسـتُّـرِ

فـالـحـالُ ظـاهـرهـا مـروءةُ مـوسـرٍ ... لـكـنَّ بـاطـنـهـا خـصـاصـةُ مُـعـسـرِ

١٦١ ـ وله في كتابه «المبهج»[٢].

المرءُ يحقُّ المروءة، والمرأةُ تحقُّ المرآة.

❋ ❋ ❋

فصل فيما تنهى المروءة عنه

١٦٢ ـ كان بعضُ المشايخ يقول:

خلالٌ تُنافي المروءة: الأكلُ في السوق، ومحادثةُ النساءِ في السِّكك، والاغتسالُ في غيرِ منزلك، وتعرِّي الجسدِ وجاهَ الناس في معرضِ القوم[٣].

١٦٣ ـ وروى المرزبانيُّ[٤] عن الرياشيِّ[٥] قال:

---

(١) الإمام المحدث والأديب العلامة أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري صاحب التصانيف، متبحر في فنون العلم، اشتهر في الآفاق، انتهت إليه رئاسة التحدث والإملاء للآداب والتدريس بخوزستان، ت ٣٨٢ هـ. سير أعلام النبلاء ٤١٣/١٦.

(٢) نشرته مطبعة النجاح بمصر سنة ١٣٢٢ هـ، وطبع ضمن «أربع رسائل» في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية عام ١٣٠٢ هـ.

(٣) وزيد فيها خلال أخرى، مثل الغناء (محاضرات الأدباء ٨١٧/١)، والمزاح (جمهرة خطب العرب ٤١٤/٢) وتفخيم الهدية (صبح الأعشى ١٠١/٩)، وكل ما يخلّ بالدين.

(٤) العلامة الأخباري المتقن أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني البغدادي الكاتب، صاحب التصانيف، معتزلي، كان يكتب ويشرب، جاحظ زمانه، يتغالى فيه عضد الدولة. ت ٣٨٤ هـ سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١٦.

(٥) هو أبو الفضل عباس بن الفرج الرياشي النحوي، العلامة الحافظ، شيخ الأدب، من البصرة. كان من بحور العلم، راوياً للأصمعي. قتلته الزنج سنة ٢٥٧ هـ. المصدر السابق ٣٧٣/١٢.

جلس أبو نواس إلى نفرٍ من قريش، فذكروا صديقاً له فعابوه، فقامَ أبو نواس، فاستجلسوه، فقال: ليس من المروءةِ أن أجالسَ قوماً يذمُّون صديقاً لي. وأنشأ وجعلَ يقول:

لا أعيرُ الدهرَ سمعي ليعيبوا لي حبيباً
احفظِ الإخوانَ كيما يحفظوا منكَ المغيبا

١٦٤ ـ وكان يقول:

ليس من المروءةِ مدحُ الرجلِ نفسَهُ.

١٦٥ ـ وكان عليُّ بن يحيى بن أبي منصور المنجِّم[١] من الجودِ والكرمِ ومحاسنِ الشيمِ بحيث يُضربُ به المثل، قلما مدحَهُ كلُّ من يقولُ ما فيه من شعراءِ عصره، كالبحتري، وابن الرومي، وأبي السمط، ويزيد المهلبي[٢]، وابن المعتزّ، وعبيدالله بن عبدالله بن طاهر[٣]، وأحمد بن أبي فَنَن[٤]، وأبي هِفّان[٥]، وابن علي البصري، وابن الوليد الكناني، وغيرهم، فأكثروا.

١٦٦ ـ ومدح أيضاً هو نفسَهُ فقال:

عليُّ بن يحيى جامعٌ لمحاسنِ من العلمِ مشهورٌ بكسبِ المحامدِ

---

(١) الأخباري الشاعر، نديم المتوكل ثم من بعده. كان ذا فنون وعقليات وهذيان وتوسع في الأدبيات، له تصانيف، منها أخبار إسحاق النديم. ت ٢٧٥ هـ. المصدر السابق ٢٨٢/١٣.

(٢) يزيد بن محمد بن المهلب، شاعر بصري اشتهر ببغداد، من الندماء الرواة، ت ٢٥٩ هـ.

(٣) من بيت إمارة وتقدم، ولي شرطة بغداد نيابة عن أخيه محمد، ثم استقلَّ بها بعد موته، وكان رئيساً جليلاً وشاعراً محسناً ومترسلاً بليغاً، وله تصانيف. ت ٣٠٠ هـ. سير أعلام النبلاء ٦٢/١٤.

(٤) أبو عبدالله أحمد بن صالح بن أبي فنن، مولى المنصور أو الربيع. كان أسود اللون، بلغ سناً عالية، ت بعد ٢٦٠ هـ.

(٥) أبو هفان عبدالله بن أحمد العبدي المهزمي، أديب وشاعر بصري سكن بغداد، ت ٢٥٧ هـ.

فلو قيلَ هاتوا فيكمُ اليومَ مثلَهُ ... لعزَّ عليهم أن يجيؤوا بواحِدِ[1]

١٦٧ ـ وما أحسنَ قولَ من قال:

العيبُ في الخاملِ المغمورِ مغمورُ ... وعيبُ ذي الشرفِ المذكورِ مذكورُ
كفُوفَةِ الظُّفرِ تخفى من حقارتها ... ومثلُها في سوادِ العينِ مشهورُ[2]

١٦٨ ـ وكان بعضُ أصحابِ المروءاتِ يغسلُ يدَهُ قبل ضيفه، ويستأثرُ بأجودِ شرابهِ عليه، فقيلِ فيه:

يغَسِّلُ قبل الضيوفِ اليدين ... كأنه يغْسِلُ منهم يديهِ

وقيل فيه:

ولم أرَ مستأثراً بالشرا ... بِ إلا كمستأثرٍ بالطعامِ

فتركَ هاتين الخلَّتين، وتَابَ مما يقدحُ في مروءته.

انتهى. والله أعلم.

وصلى الله على ذي الأخلاقِ المحمودة، والمآثرِ المحمودة، والمآثرِ المشهودة، محمدٍ وآله.

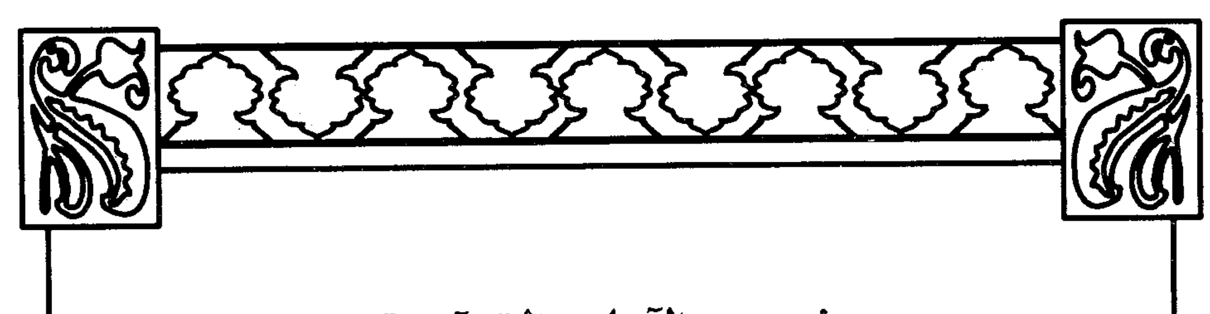


(١) معجم الأدباء ٤/٣٧٠.
(٢) الفوفة جمع فوف، وهو القشر الرقيق.
والبيتان للشاعر المخزومي. ينظر درة الغواص ١/١٠٦، ويتيمة الدهر ٥/٢٩.

الفهارس العامة[1]

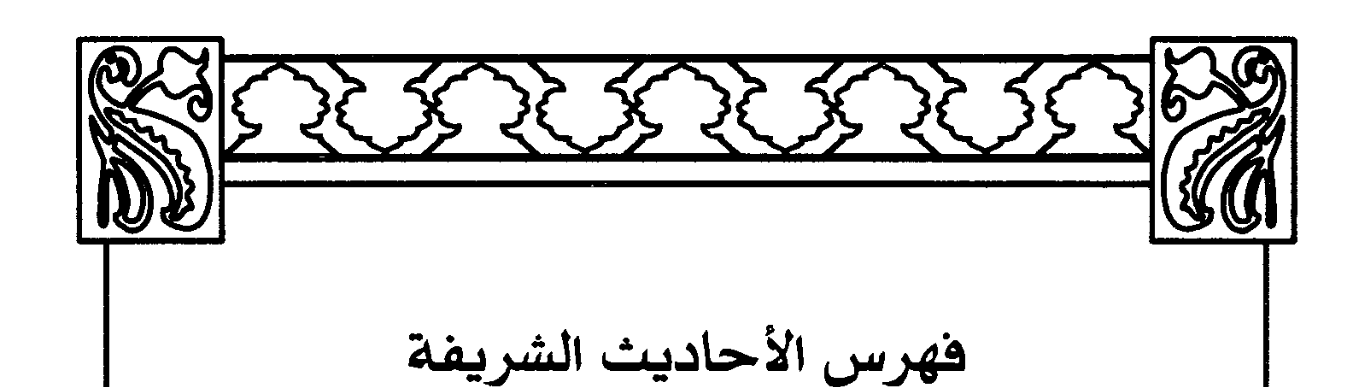
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث الشريفة.
- فهرس الآثار والأقوال.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأمم والقبائل والطوائف.
- فهرس الأماكن.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

(١) الأرقام الواردة في هذه الفهارس هي للأرقام المتسلسلة ولا علاقة لها بأرقام الصفحات، ما عدا فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	اسم السورة	الرقم المتسلسل
﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	البقرة	٣
﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	١٧٢	البقرة	٤٢
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾	٣٢	الأعراف	٤٢
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾	١٩٩	الأعراف	٢
﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾	١٠٢	التوبة	٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾	٩١	النحل	١
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٩٦	المؤمنون	٣
﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾	٧٧	القصص	٤
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٣٤	فصلت	٣
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٤٠	الشورى	٣
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾	٣٢	النجم	٣
﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾	٦٠	الرحمن	٣
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	٤	المدثر	٧٢
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	١١	الضحى	٧٧



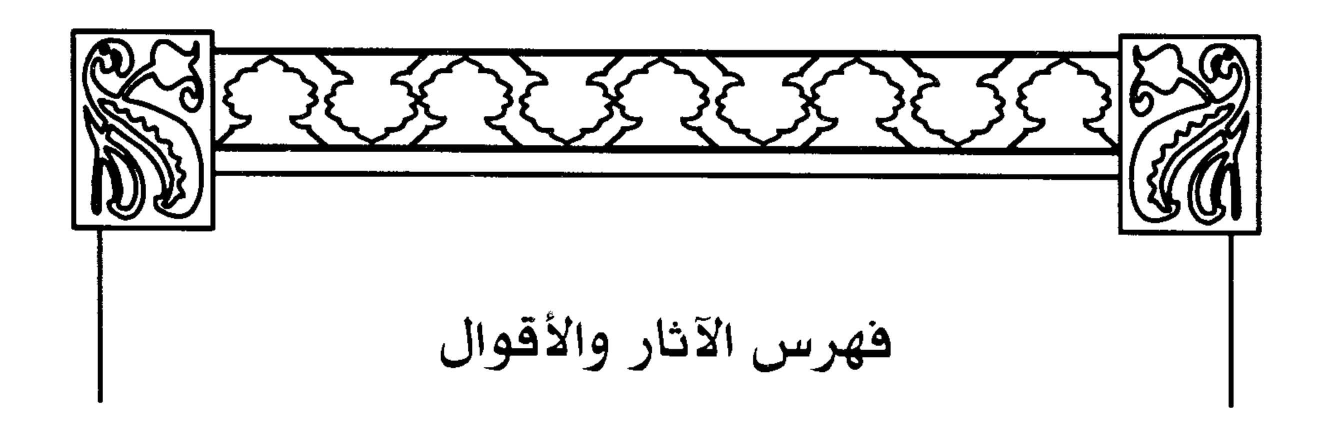
فهرس الأحاديث الشريفة

- ل -

- م -

- و -

- ي -



فهرس الآثار والأقوال

القول أو الأثر	الرقم المتسلسل

- أ -

- ض -

- ط -

- ف -

- ق -

- ك -

- لا -

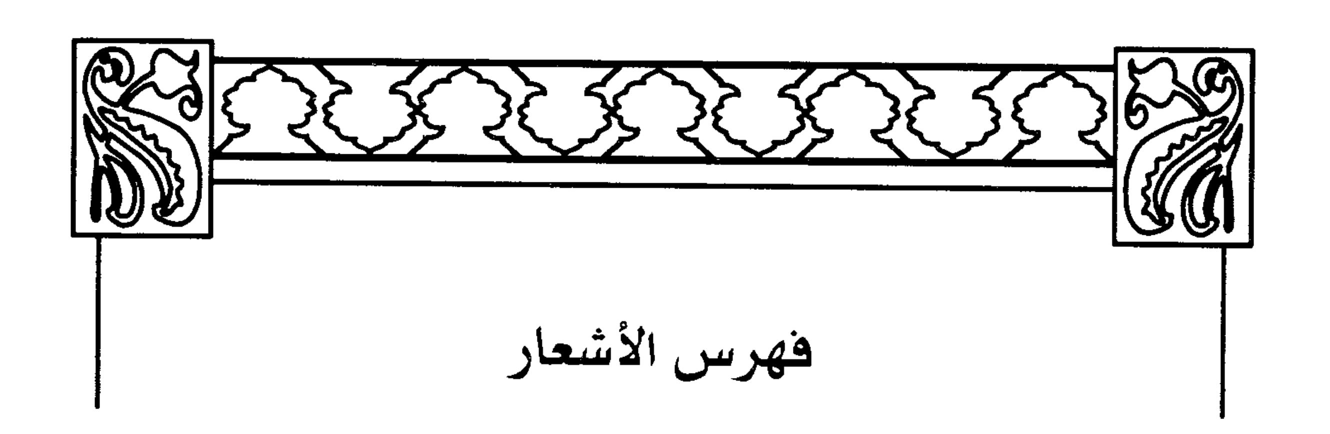
- م -

القول أو الأثر	الرقم المتسلسل

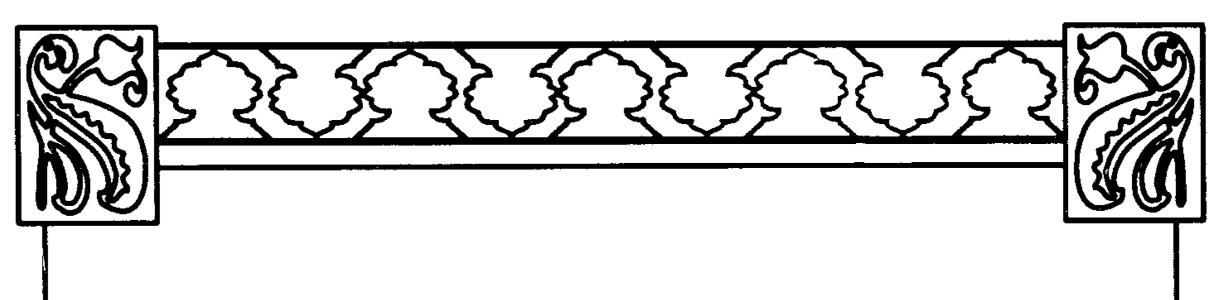
- ن -

- هـ -

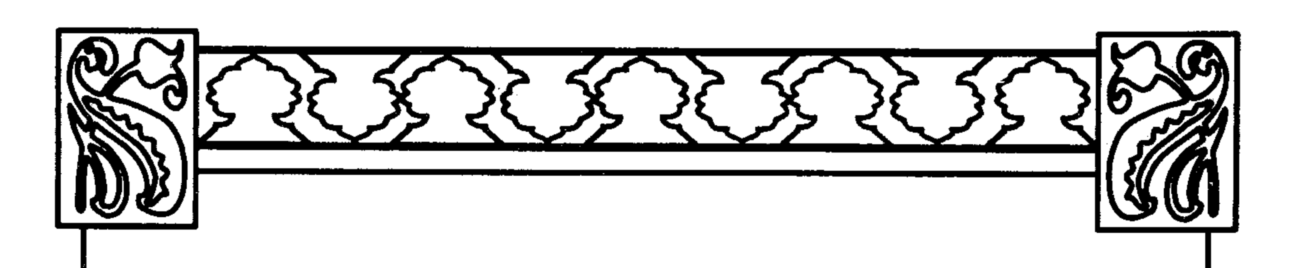
- ي -



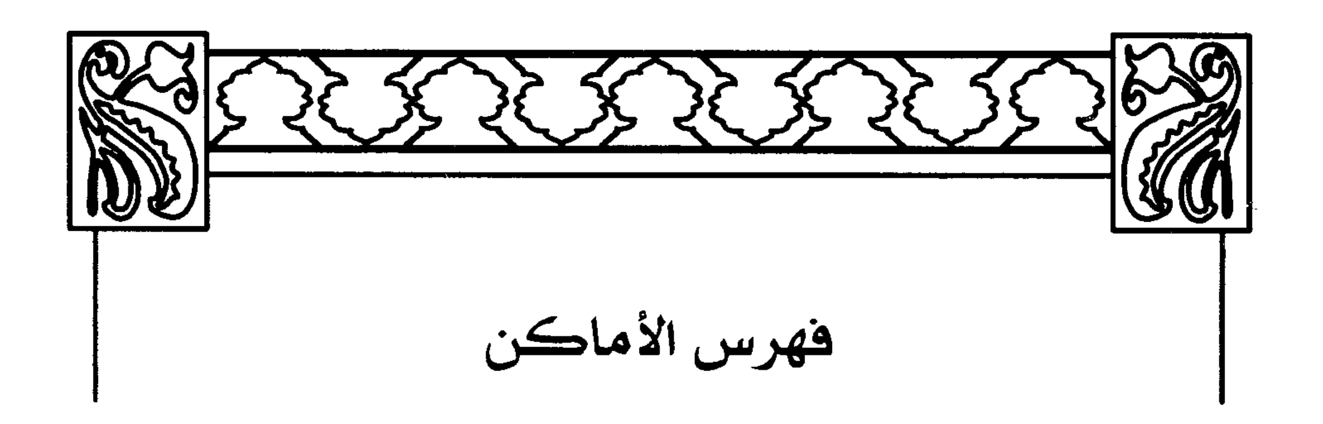
فهرس الأشعار



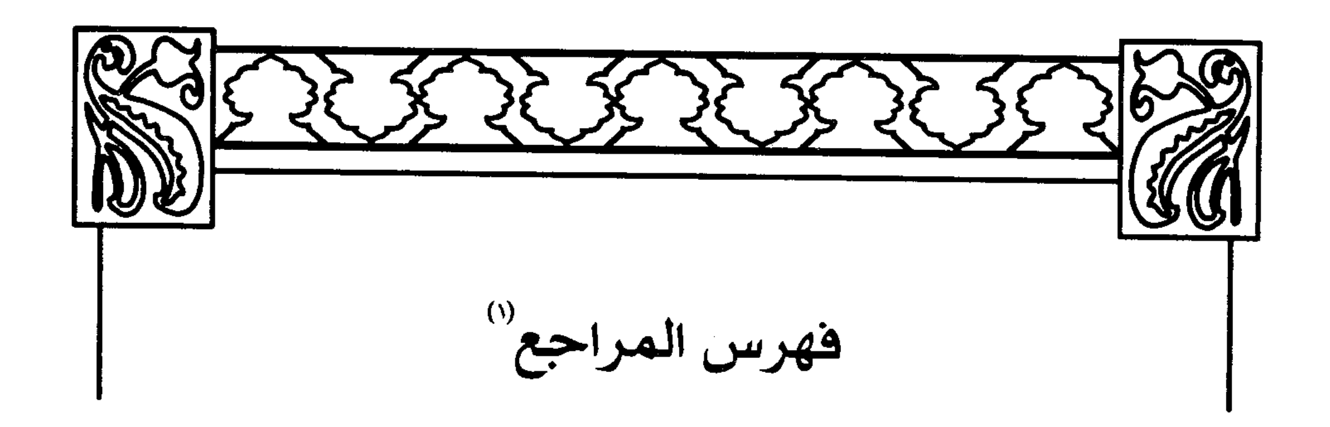
فهرس الأعلام



فهرس الأمم والقبائل والطوائف...



فهرس الأماكن



فهرس المراجع[1]

- **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**: محمد بن محمد مرتضى الزبيدي. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- **الإخوان**: ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد بن عبدالرحمن طوالبة. ـ القاهرة: دار الاعتصام، **١٤٠٨**هـ.
- **أدب الدنيا والدين**: علي بن محمد الماوردي؛ تحقيق مصطفى السقا. ـ ط **٤**. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٣٩٨**هـ.
- **الأدب المفرد**: البخاري؛ تحقيق محب الدين الخطيب. ـ ط **٢** ـ القاهرة: قصي محب الدين الخطيب، **١٣٧٩**هـ.
- **أساس البلاغة**: الزمخشري. ـ بيروت: دار الفكر، **١٣٩٩**هـ [التراث].
- **الاستذكار**: ابن عبدالبر القرطبي؛ تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤٢١**هـ.
- **اصطناع المعروف**: ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، **١٤٢٢**هـ.
- **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني؛ تحقيق علي مهنا، سمير جابر. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

---

(١) اعتمدت في بعض المراجع على ما أنتجه «مركز التراث للبرمجيات» في عمّان من أقراص مدمجة، ولاحظت فارق صفحة أو صفحات بين الطبعات المعتمدة لديها وما هو مطبوع منها على الورق، لكنها ليست بالكثيرة. وما اعتمدت منها على هذه الأقراص وضعت في آخرها: [التراث].

- **الأمثال**: أبو عبيد القاسم بن سلام؛ تحقيق عبدالمجيد قطامش. ـ مكة المكرمة: جامعة الملك عبدالعزيز، **١٤٠٠**هـ.
- **البداية والنهاية**: ابن كثير؛ تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي. ـ القاهرة: هجر للطباعة والنشر، **١٧ ـ ١٤٢٠**هـ.
- **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس**: ابن عبدالبر القرطبي؛ تحقيق محمد مرسي الخولي. ـ ط **٢**، ـ بيروت: دار الكتب العلمية، **١٤٠٢**هـ.
- **البيان والتبيين**: الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي. ـ بيروت: دار صعب [التراث].
- **تاريخ الإسلام**: شمس الدين الذهبي؛ تحقيق بشار عواد معروف. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، **١٤٢٤**هـ.
- **تاريخ مدينة دمشق**: ابن عساكر؛ تحقيق عمر غرامة العمردي. ـ بيروت: دار الفكر، **١٤١٥**هـ.
- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري؛ تحقيق مصطفى محمد عمارة. ـ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، **١٤٠١**هـ.
- **تقريب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق محمد عوامة. ـ ط **٤**. ـ حلب: دار الرشيد، **١٤١٢**هـ.
- **التمهيد**: ابن عبدالبر القرطبي؛ تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين. ـ الرباط: وزارة الأوقاف [التراث].
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمٰن المزي؛ تحقيق بشار عواد معروف. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، **١٤١٣**هـ.
- **التيسير بشرح الجامع الصغير**: عبدالرؤوف المناوي. ـ ط **٣** ـ الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، **١٤٠٨**هـ.
- **الثعالبي ناقداً وأديباً**: دراسة وتحقيق محمد عبدالله الجادر. بيروت: دار النضال، **١٤١١**هـ.
- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: الثعالبي. ـ القاهرة: دار المعارف [التراث].
- **جمهورة الأمثال**: أبو هلال العسكري. ـ بيروت: دار الفكر، **١٤٠٨**هـ [التراث].

- **جمهورة خطب العرب**: أحمد زكي صفوت. ـ بيروت: دار الكتب العلمية [التراث].
- **الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة**: محمد بن عبدالرحمن السخاوي؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ.
- **حلية الأولياء**: أبو نعيم الأصبهاني. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: عبدالقادر البغدادي؛ تحقيق عبدالسلام هارون. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب: مكتبة الخانجي، ١٣٩٩ ـ ١٤٠٦هـ.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين السيوطي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- **درة الغواص في أوهام الخواص**: القاسم بن علي الحريري؛ تحقيق عرفان مطرجي. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٨هـ [التراث].
- **ديوان الحماسة**: شرح الخطيب التبريزي. ـ بيروت: دار العلم [التراث].
- **ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري**؛ تحقيق مصطفى السقا؛ إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي. ـ بيروت: دار المعرفة [التراث].
- **ديوان المعاني**: أبو هلال العسكري. ـ بيروت: دار الجيل [التراث].
- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**: محمد بن حبان البستي؛ تحقيق محمد حامد الفقي. ـ القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ.
- **الزهد**: أحمد بن حنبل؛ حققه محمد جلال شرف. ـ بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠١هـ.
- **الزهد الكبير**: البيهقي؛ تحقيق عامر أحمد حيدر. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: محمد ناصر الدين الألباني. ـ بيروت: المكتب الإسلامي.
- **سنن ابن ماجه**: تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. ـ القاهرة: دار الحديث، د. ت.
- **سنن الترمذي**: تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، إبراهيم عطوة. ـ القاهرة: دار الحديث، د. ت.
- **السنن الكبرى**: البيهقي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.
- **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ ـ ١٤٠٩هـ.

- **شعب الإيمان**: البيهقي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: القلقشندي؛ تحقيق عبدالقادر زكار. ـ دمشق: دار الثقافة، ١٤٠١هـ [التراث].
- **صحيح الأدب المفرد**: محمد ناصر الدين الألباني. ـ الجبيل: دار الصديق، ٤١٤هـ.
- **صحيح البخاري**: (ضمن: فتح الباري. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ).
- **صحيح الجامع الصغير**: محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط ٣. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- **صحيح سنن الترمذي**: محمد ناصر الدين الألباني. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ.
- **صحيح مسلم بشرح النووي**: الرياض: دار الإفتاء، د. ت.
- **صفة الصفوة**: ابن الجوزي؛ تحقيق محمود فاخوري؛ تخريج محمد رواس قلعجي. ـ ط ٣. حلب: دار الوعي، ١٤٠٥هـ.
- ... **الصناعتين: الكتابة والشعر**: أبو هلال العسكري؛ تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. ـ صيدا؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ [التراث].
- **ضعيف الجامع الصغير**: محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط ٣ ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- **الظرف والظرفاء**: محمد بن أحمد الوشاء؛ تحقيق فهمي سعد. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ.
- **العبر في خبر من غبر**: الذهبي؛ تحقيق محمد السعيد زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**: علي بن عبدالرحمن بن هذيل. ـ ط ٢ ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- **عيون الأخبار**: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ.
- **الفردوس بمأثور الخطاب**: شيرويه الديلمي؛ تحقيق محمد السعيد زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**: البكري [التراث].

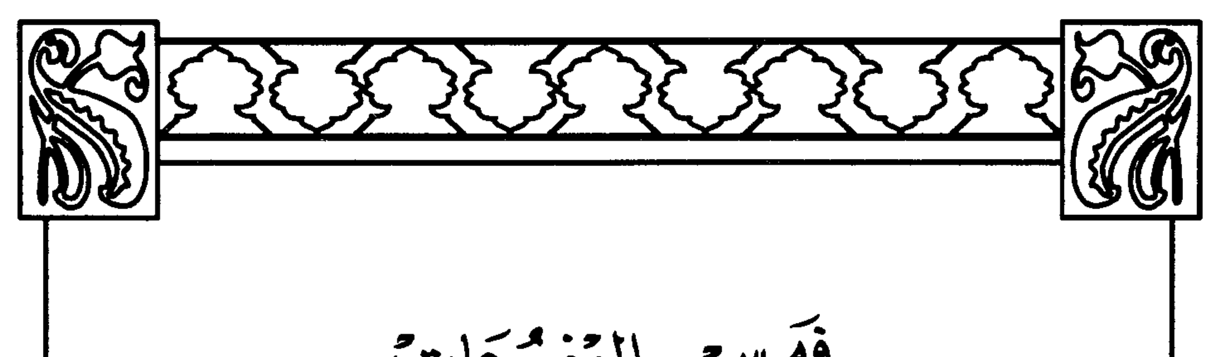
- **قضاء الحوائج**: ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. - بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**: ابن عدي الجرجاني؛ تحقيق سهيل زكار. - ط ٣ - بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- **الكامل في اللغة والأدب**: محمد بن يزيد المبرد؛ تحقيق محمد أحمد الدالي. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**: إسماعيل بن محمد العجلوني؛ ط ٣ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- **لسان العرب**: ابن منظور الإفريقي. - بيروت: دار صادر [التراث].
- **لسان الميزان**: ابن حجر العسقلاني. - حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف النظامية، ٢٩ - ١٣٣١هـ.
- **المجالسة وجواهر العلم**: أحمد بن مروان الدينوري؛ تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. - بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين الهيثمي؛ تحرير العراقي وابن حجر. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.

  طبعة أخرى: بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٦هـ.
- **محاضرات الأدباء**: الراغب الأصفهاني. - بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت.

  طبعة أخرى: تحقيق عمر الطباع. - بيروت: دار القلم، ١٤٢٠هـ [التراث].
- **مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان**؛ تحقيق محمد خير يوسف. - بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.
- **المروءة وما جاء في ذلك عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين**: محمد بن خلف بن المرزبان؛ تحقيق محمد خير يوسف. - بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ.
- **المستطرف في كل فن مستظرف**: محمد بن أحمد الأبشيهي؛ تحقيق مفيد محمد قميحة - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ [التراث].
- **المسند**: أحمد بن حنبل. - بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت. (بهامشه منتخب كنز العمال).

- **معاهد التنصيص**: عبدالرحيم بن أحمد العباسي؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ بيروت: عالم الكتب، ١٣٦٧هـ [التراث].
- **معجم الأدباء**: أحمد شمس الدين. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ [التراث].
- **المعجم الأوسط**: الطبراني؛ تحقيق محمود الطحان. ـ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥ ـ ١٤١٦هـ.
- **المعجم الكبير**: الطبراني؛ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د .ت.
- **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، د .ت.
- ـ **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية؛ إخراج إبراهيم أنيس وآخرين. ـ ط ٢ ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- **المغني عن حمل الأسفار**: الحافظ العراقي؛ تحقيق أشرف عبدالمقصود. ـ الرياض: مكتبة طبرية [التراث].
- **مكارم الأخلاق**: ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مجدي السيد إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤١٠هـ.
- **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: أحمد بن محمد المقري التلمساني؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ.
- ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: المبارك بن محمد الجزري؛ تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ [التراث].
- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين الصفدي؛ تحقيق وداد القاضي وآخرين. فيسبادن، ألمانيا: فرانز شتاينر، ١٤٠٢هـ.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أحمد بن محمد بن خلكان؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار الثقافة، ٨٨ ـ ١٣٩٨هـ.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**: الثعالبي؛ تحقيق مفيد محمد قميحة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ [التراث].





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

